

هدايات

التي هي أقوم القرآنية

الجزء الثاني



تأليف
مجموعة من الباحثين
إشراف
أ.د. فؤاد البنا



هدايات التي هي أقوم القرآنية

تأليف: مجموعة من الباحثين

إصدار: جمعية معاذ العلمية



جمعية مجالس العالمين
بمكة المكرمة - الرياض - جدة



مشروع

الحلقات القرآنية

هدف
المشروع

خدمة كتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة وعملاً، والمساهمة
في تحصين الشباب من الأفكار المنحرفة، وتربية الجيل
على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

كفالة الحلقة
الواحدة في السنة

800 \$

المركز الرئيسي:
شارع جمال تعز - اليمن
+967777256998
+9674250845



حسابنا البنكي:
مصرف اليمن البحرين الشامل 5699480
بنك سبأ الإسلامي 45021



هدايات

التي هي أقوم القرآنية

الجزء الثاني

تأليف

مجموعة من الباحثين

إشراف

أ.د. فؤاد البنا

﴿ نَفْرَةٌ ﴾

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ٢٢]، والصلاة والسلام على الرسول الكريم القائل: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِذَا عَلِمْتُمُوهُ فَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ» رواه أحمد؛ وبعد:

إن الهداية بوصفها مقصداً قرآنياً كلياً نستلهمه من قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] لا يمكن اختزالها في القراءة المجردة للقرآن الكريم رغم ما للقراءة من أجرٍ جليلٍ وأثرٍ عظيمٍ، فهي بوابة المعرفة ومنطلقها. كما لا يجوز حصر الهداية القرآنية في الترتيل دون أعمال الفكر في التدبر؛ لفهم المعاني العميقة، وإدراك المقاصد العليا، وبناء التصورات الشاملة لبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، التي تقع على عاتقها مهمة تفعيل الحياة بالقرآن منهجاً للهداية لا وسيلة للتكسب.

إنَّ على الأمة أن تتخذ هدايات القرآن الكريم منارات تسترشد بها في استنهاض حضارتها، واستنطاق مكنونات الأرض لإحسان عمارتها امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿هُوَ أَذْشَاكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْمِرْكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

تأكيداً على استمرارية الرسالة القرآنية، التي دأبت الجمعية في ترسيخها لدى الأجيال منذ بدء مسيرتها ولا تزال، وإيماناً بضرورة اقتران العلم النافع بالعمل الناهض، والفكر السديد بالممارسة الرشيدة؛ يأتي الجزء الثاني من كتاب (هدايات التي هي أقوم القرآنية)

الذي حظي بإشراف الأستاذ الدكتور/ فؤاد البنا حفظه الله تعالى .

وقد وفقنا الله عزَّ وجل في هذا الكتاب إلى المساهمة في توجيه الأنظار واستنفار العقول نحو الهدايات القرآنية، التي شارك في كتابة جزء منها نخبةٌ من الباحثين، الذين أثروا موضوعاتها، وأثاروا الألباب لاستنباط مقاصدها. ويضم هذا الجزء الهدايات التالية :

أ.د. فؤاد البنا

أقوم الهدايات اللغوية والفنية

د. مجيب الحميدي

أقوم الهدايات الإعلامية

أ. أبو علاء دماج

أقوم الهدايات الاقتصادية

أ.د. عبد الله القدسي

من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم

سائلين المولى عز وجل القبول، والتجاوز عن الخطأ والنسيان، كما نسأله تبارك وتعالى أن ينفع بهذه الهدايات الجميع لتستنير بها العقول، وتستنهد بهم، ويقوم العباد بالتي هي أقوم.

إدارة العلوم الشرعية

١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٦ م

الفهرس

الهدايات اللغوية والفنية أ.د. فؤاد البناء	
١٢	أوجه الهدايات اللغوية
٣٠	أوجه الهدايات الفنية
الهدايات القرآنية في المجال الإعلامي د. محيب الحميدي	
٤٦	هدايات التثبت
٥٣	هداية التبين
٥٦	هداية التريث في نشر الخبر والمعلومة
٦١	هدايات التحصين
٦٢	هداية التحصين من التضليل والدعاية السوداء
٧٢	هداية التحصين من خطاب الكراهية والتنمر
٨٠	هداية الحفاظ على الخصوصية
٨٧	هداية التحصين من لغو إدمان التواصل والإدمان الرقمي
٩٢	هداية التحصين من لغو تفاهة الهوس بالمشاهير
٩٤	هداية التحصين من لغو الهوس بالذات
٩٧	هدايات التمكين بالكلمة الطيبة

الهدايات الاقتصادية أ. أبو علاء دماج	
١١٢	المنطلق الطيب
١٢٧	منطلق الفاعلية في الحياة
١٤١	المنطلق التحذيري الأول
١٥٣	المنطلق التحذيري الثاني
١٦٧	السبب العقدي العملي
١٧٧	المنطلق التدميري
من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم أ.د. عبد الله القدسي	
١٨٧	الإعجاز في الكلمة القرآنية
١٩٣	الإعجاز البلاغي في التراكيب اللغوية





جَمْعِيَّةُ مَعَادِ الْعِلْمِيَّةِ
لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م

﴿ يوزع مجاناً ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الهدايات اللغوية والفنية

أوجه الهدايات اللُّغوية

أوجه الهدايات الفنية

أ.د. فؤاد البنا

أوجه الهدايات اللغوية في القرآن

أولاً: احتواء الهدايات اللغوية لمختلف أنواع الهدايات الإيمانية والاقتصادية والتشريعية والتربوية والاجتماعية والسياسية والإعلامية والفنية والأدبية.

فقد صاغ الله تعالى آيات القرآن بطريقة معجزة لا تدخل ضمن ما هو معهود عند البشر ولا مستطاعهم، حيث اكتنزت نصوصه مختلف الهدايات النفيسة التي تحتاجها قضية الاستخلاف في الأرض وتحقيق العبودية الشاملة لله في محراب الأرض، من إيمان يبني دولة الله في قلب الإنسان، وصالحات تستعمر الأرض وتصنع الحياة في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقيم تعلي من شأن الإنسان وتضمن المحافظة على حرته وكرامته، وتمنع ظلمه واضطهاده والنيل من حقوقه وحرماته.

ويكمن الإعجاز هنا في أن مباني القرآن محدودة الحجم، بينما معانيه غير محدودة ولا متناهية، وفي أن نصوص القرآن واضحة للعقول السليمة وميسرة لمن يريد الفهم، رغم أنها تختزل ما لا يحصى من الأفكار والرؤى والقيم والتوجيهات التي تنظم شؤون الحياة كلها في كل الأزمان والبقاع ولكل الناس منذ تنزل أول آية في القرآن حتى خروج آخر نفس من بني الإنسان!

ثانياً: الجمع بين التيسير والعمق الذي يستوعب تعدد الأماكن وتغير الأزمان:

تتسم نصوص القرآن الكريم باليسر على المستوى الأفقي وبالعمق على المستوى الرأسي، مما يجعله سهلاً وفي متناول عقول سائر الناس وقادراً في ذات الوقت على تلبية حاجاتهم المتجددة في كل زمان ومكان.

ومن المعلوم أن القرآن تنزل كهداية لجميع البشر من حيث المبدأ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، ولفظة الناس تشمل جميع البشر بشتى أعراقهم وألوانهم وأحجامهم، وبمستويات تعليمهم وأعرافهم واتجاهاتهم، وبمختلف عقولهم وأمزجتهم وطبائعهم.

ولذلك فقد جعله الله تعالى ميسراً للتلاوة والحفظ والفهم، وبحكمة الله فقد ابتداءً هذا التيسير باختيار اللغة العربية كأداة لتجسيد هذا اليسر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٧٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، ذلك أن اللغة العربية أغنى لغات العالم بالمفردات والاشتقاقات، وللعلم فإن أكبر قاموس في اللغة العربية يحتوي على أكثر من ١٣ مليون مفردة، بينما أكبر قاموس في اللغة الانجليزية لا يتجاوز ٨٠٠ ألف مفردة، رغم أنها تعيش عصرها الذهبي وهي اللغة الأولى في عصرنا من حيث عدد الذين يتكلمون بها، بسبب أنها لغة الحضارة العصرية ولغة أقوى بلدين في زماننا: بريطانيا سابقاً والولايات المتحدة الأمريكية حالياً.

وقد أكد المولى عز وجل على أن اختيار العربية لتوصيل كلامه إلى الناس، إنما كان الغرض الأساسي منه هو الإبانة والتيسير، كما قال تعالى وهو يخاطب نبيه محمداً ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، ولنلاحظ كلمة ﴿فَإِنَّمَا﴾ في مطلع الآية والتي تفيد الحصر، وكأنه يقول إن اختيار العربية إنما كان لتيسير وصول الهدايات الربانية إلى الناس جميعاً بمختلف عقولهم ومستويات ذكائهم.

ونؤكد بأن غنى اللغة العربية يكمن في ثراء مفرداتها وتصريفاتها، وفي مرونتها الشديدة وقدرتها الفائقة على الاشتقاق، وفي جمالياتها التعبيرية والفنية المنقطعة النظير والتي تتجلى بقوة في صور الشعر وفنون الأدب كما لا يوجد في أي لغة أخرى، وكذلك في عمقها الديني كلغة للقرآن، بل وفي بركة القرآن عليها تشرiffاً وحفظاً وثناءً وعناية، ثم في قدرتها على استيعاب ثقافات العالم قاطبة دون أن تفقد خصائصها المميزة وعبقريتها المتفردة!

وهذا الثراء اللغوي الهائل يجعل اللغة العربية قادرة على التعبير عن أدق الحالات الروحية والمشاعر النفسية، وعلى تشخيص العلل النفسية والآفات الفكرية، وتسجيل مراحل الأفعال وإبراز الفروق الدقيقة في إطار الدوائر الثلاث: الأفكار والأشخاص والأشياء.

ثالثاً: الدقة المبهرة في استخدام الكلمات:

لأن القرآن كلام العليم الخبير فإنه شديد الدقة، حيث تُستخدم كل مفردة بطريقة دقيقة لا تترك مجالاً لأي استدراك ولا تبقى أي احتمال لوجود ما هو أفضل منها.

وينطبق هذا الأمر على سائر الكلمات والألفاظ:

١- اختيار الكلمات:

فكل كلمة موضوعة في مكانها المناسب بحيث لا يغني عنها غيرها بأي حال من الأحوال، حتى أن عدد الحروف في أي كلمة يتناسب مع حجم الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَلْعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَتَلْعُوا لَّهُو نَقَبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، فلفظ ﴿اسْطَلْعُوا﴾ أقل بحرف عن ﴿اسْتَتَلْعُوا﴾، للإشارة إلى أن إحداث ثقب في الجدار كان أصعب من تسلقه، نتيجة

سماكته وقوة المواد الذي صنع منه، مما يؤكد أن زيادة المبنى في القرآن يشير إلى زيادة المعنى!

٢- ترتيب الكلمات:

وردت كلمات ثنائية كثيرة مقترنة ببعضها في القرآن الكريم، مثل ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، فقد اقترنتا في ١٦ موضعاً من القرآن، مما يدل على ضرورة الجمع بين التبشير والإنذار أثناء الدعوة إلى الله تعالى، كما كان يفعل الأنبياء عليهم السلام، لكن التبشير تقدم في ١٤ موضعاً من المواضع الـ ١٦، وتقدم الإنذار في موضعين فقط، مما يدل على ضرورة البدء بالتبشير والتحييب والترغيب عبر مختلف الصيغ والأساليب المؤثرة.

ولأن البشر ليسوا آلات جامدة ولا نسخاً مكررة من بعضهم، ولأن الظروف ليست متطابقة دوماً فإن الإنذار قد يتقدم في بعض الأحيان كما تقدم في الموضعين المشار إليهما في القرآن، وعليه فإن الداعية لا بد أن يكون حكيماً حتى يدرك متى يقدّم هذا ويؤخر ذاك، ومهما كان ذكاء الداعية فلن يصبح حكيماً ما لم يجمع بين فقهي الواجب والواقع، بحيث يفهم مراحي النصوص ومقاصد الشرع، ويستوعب تفاصيل الواقع ومتغيرات الحياة، ويكون على علم بفقهِ النوازل وطبيعة المتغيرات، ويتقن فقهي الموازنات والأولويات، ومن ثم يدرك متى يقدم التبشير ويؤخر الإنذار، والعكس.

وهكذا فقد أصبحت صياغة المبنى وسيلة لتحديد المعنى بمنتهى الدقة!

٣- استخدام ألفاظ نسبية:

من صور الهداية البيانية في القرآن الكريم ورود كلمات أو ألفاظ

نسبية، بحيث يحدد معناها السياق الذي وردت فيه، مثل كلمة الروح التي وردت في القرآن بمعاني متعددة، وأهمها:

أ- الوحي:

خاطب الله حبيبه محمداً ﷺ فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ونلاحظ هنا أنه تعالى أطلق على الوحي مصطلح الروح لأنه يعزز النفخة الروحية في تكوين الإنسان حتى لا تطغى عليها آثار القبضة الترابية، ولأنه يبعث الحياة في جوانح الإنسان فيحي عقله وقلبه وضميره، ليدور مع بوصلة الحي القيوم، فلا يجده الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره!

وفي نفس السياق قال تعالى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢٠]، فالروح هنا هي الوحي، وإيراد كلمة الملائكة من إطلاق الكل وإرادة الجزء، ذلك أن الذي ينزل بالوحي هو جبريل وحده، كما سيأتي في الفقرة الآتية.

ب- واسطة الوحي جبريل:

وردت كلمة الروح في مواضع عديدة بمعنى الملاك المسؤول عن إيصال الوحي من الله إلى أنبيائه، مثل قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٢﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، وفي معظم المواضع يميز الله جبريل ﷺ باسم روح القدس!

ج- لبّ الحياة الإنسانية:

تمثل الروح لب حياة الإنسان في الجانب المادي كما هي في الجانب المعنوي، وحينما تزهق روحه يصير جثة هامدة بلا حراك.

وقد ورد مصطلح الروح بهذا المعنى في قوله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فهم يسألون هنا عن حقيقة الروح، فأخبرهم بأنها من اختصاص الله، ولقد خلقها الله وجعل فيها حياة الإنسان وهذا القدر من العلم يكفيه ليقوم بما هو له وما هو عليه.

د- المدد الرباني:

وجاءت الروح بهذا المعنى في قوله عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فقد أيدهم بمدد منه، وقد يكون هذا المدد فرقاناً يميزون به بين الحق والباطل، أو توفيقاً يحققون به أفضل المنافع والمصالح، أو إعانة يتجاوزون بها أقوى الصعاب ويصلون بها الى أرفع المنازل.

٤- عدم وجود ما يسمى بالترادف في القرآن الكريم:

توجد كلمات كثيرة في القرآن الكريم يظن البعض أنها من المترادفات أي أنها تستخدم بنفس المعنى، مثل: التبذير والإسراف، الكذب والإفك، الخوف والخشية، القعود والجلوس، الكأس والكوب، الشك والريب، البعث والحشر، الحلف والقسم، الأجر والثواب، الأب والوالد، البدن والجسم والجسد، الجهر والعلانية، السبيل والطريق، الود والمعروف، الحمد والشكر، اللوم والتثريب، الفعل والعمل، والحرب والقتال وغيرها.

وقد قمنا في كتابنا (إيجاز البيان في إعجاز القرآن) باستقراء الآيات التي وردت فيها هذه الكلمات المظنون أنها مترادفة فوجدنا أنها تتفق في المعنى العام، لكنها تحتوي على فروق دقيقة يمكن فهمها بالتدبر، ويقتضيها السياق في كل مرة، مما يدل على دقة المفردة القرآنية لتنزله من حكيم حميد، ولا يتسع هذا المقام لشرحها، ويمكن العودة للكتاب وأمثاله من الكتب التي شرحت هذا الأمر وأوضحته بصورة شافية.

هـ - الإطلاق والتقييد:

أورد الله تعالى صفة الإنفاق ضمن صفات المؤمنين في كل آيات القرآن الكريم، وذكر بأن هذا الإنفاق حق للفقير وليس منحة من الغني، غير أنه أطلق هذا الحق في سورة الذاريات بقوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، والأمر لم يأت صدفة في الآيتين بل جاء بقصد ودقة متناهية، وهذا الأمر يدركه من يتأمل السياق الذي وردت فيه الآيتان، فأية الذاريات تتحدث عن المتقين الذين اعتلوا درجة الإحسان كما يوضح مطلع المقطع، وهؤلاء ينفقون بلا حدود، فقد ينفق أحدهم ماله كله في سبيل الله كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد ينفق نصفه كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ينفق ثلثه كما فعل كثير من الصحابة؛ لأن هؤلاء يسابقون على الفردوس الأعلى من الجنة!

بينما قيد الله الحق بأنه معلوم، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤]، حيث تكلم مقطع المعارج عن المؤمنين العاديين أو أصحاب الحد الأدنى من الإيمان والذي يعمل أصحابه على دخول الجنة دون حرص على بلوغ أعلاها، ومن ثم فإن اهتمامهم ينصب على تحقيق الواجبات الملزمة كالزكاة في الإنفاق المالي، وهي المقصود بالحق

المعلوم لأنها محددة باثنين ونصف في المائة، بينما الصدقات مطلقة!

٦- تناوب الحروف:

من المعلوم أن الحروف تتناوب في الاستخدام عند أهل اللغة العربية، ومن صور الدقة في الصياغة القرآنية المجيئ بحرف بدلاً عن حرف؛ لعله معينة أو لإرسال رسالة لن تتضح أو تكتمل بالحرف المعهود، وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، والحرف المقصود في الآية هو (في) بعبارة ﴿فِيهَا﴾، فقد كان المفترض أن يقول ارزقوهم منها، لأن الإنفاق يكون من المال وليس في المال، لكن مجيئ (في) يمثل إشارة إلى قيمة اقتصادية وهي وجوب استثمار أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة والنفقة، بحيث يكبرون وما زال لديهم مال، وهذا يتطلب أن يرزقوهم من الأرباح وليس من رأس المال، ويؤيد هذه القيمة الاقتصادية نسبة المال إلى أولياء اليتامى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ مع أنها في الأصل أموال السفهاء، وهم صغار السن الذين لا يعرفون قيمة المال ولا يحسنون التعامل معه، وكأنه تعالى بإضافتها إلى الأولياء يقول ينبغي أن تتعاملوا معها كأنها أموالكم فتحافظوا عليها وتعملوا على تنميتها عبر توظيفها من خلال مشاريع استثمارية تخدم المجتمع وتجلب لأصحابها الربح المأمول!

٧- الإفراد والجمع:

من الصور الدقيقة في استخدام المفردة القرآنية: اقتران كلمتين ببعضهما، التقديم والتأخير، الإفراد والجمع، كما نجد في كلمتي السمع والأبصار اللتين اقترنتا في ١٣ موضعاً في القرآن الكريم، مما سنوضحه في ما يأتي:

أ. إن اقتران الكلمتين في ١٣ موضعاً يفيد التأكيد على أن السمع والبصر المدخلان الأساسيان للعقل، حيث يمنحانه المدخلات التي تجعله يحكم على الأشياء، ومن ثلاثتها يتكون جهاز الوعي الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات، مما يعني أن فقدان أحدهما يفقد العقل مصدراً مهماً ويجعل أحكامه غير دقيقة.

ب. تقدم السمع على الأبصار في اثني عشر موضعاً، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وفي هذا الأمر إعجاز علمي وتربوي، فقد ثبت في علم الأجنة أن السمع يتكون قبل البصر في بطن الأم، ثم إن السمع يبدأ بالعمل قبل البصر، فحاسة السمع تعمل وما زال المرء جنيناً في بطن أمه وفور خروجه من رحم والدته، بينما يتأخر عمل البصر لساعات أو أيام بعد الولادة، ومن ثم فإن المرء يبدأ بالتعلم عبر السمع قبل البصر!

ج. ومن ناحية أخرى فقد ورد السمع مفرداً في كل الآيات بينما ورد البصر مجموعاً في سائر الآيات تقريباً، وكأن الأمر لصيق بالقدرة الوظيفية لكلا الحاستين، فالأذن لا تستطيع أن تسمع سوى صوت واحد، بينما البصر يستطيع أن يجمع عدداً من المشاهد في نظرة واحدة أو نظرات سريعة خلال ثواني محدودة.

وهناك آية واحدة ورد فيها البصر مفرداً كالسمع، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، ذلك أن الحديث هنا عن أصل الحواس وعن مسؤولية الإنسان عنها، وليس عن وظائفها، فذكرها مفردة مثل السمع والفؤاد، فهي واحدة في المسؤولية ووجوب الصيانة!

رابعاً: الدقة الكاملة في استخدام الجمل:

إن الدقة التي يستخدم القرآن فيها الحروف والكلمات، يستخدم بها الجمل، ضمن صياغته المعجزة والتي أبهرت أرباب الفصاحة وملوك البلاغة، ومن أمثلة هذا الأمر:

١- الترتيب المبهر للجمل:

اقترن ذكر الصلاة والزكاة في القرآن الكريم في ٢٧ آية، حيث تُذكر الزكاة مع الصلاة كعبادتين أساسيتين متلازمتين، مما يدل على أهميتهما معاً في بناء المجتمع المؤمن، فالصلاة عنوان لسائر حقوق الله بينما الزكاة قاعدة لحقوق الناس، ومن الحقوق التي تكون منظومة العبادة الشاملة لله.

ومما يجدر ذكره هنا أن العبادتين اقتربتا ببعضهما من دون فاصل في سائر الآيات تقريباً، لكننا وجدنا آية تقول: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]، وهذه الآية لا تتكلم عن صفات الفرد المؤمن وإنما عن صفات المجتمع المؤمن، وحقوق الله التي يرمز لها بالصلاة وحقوق الناس التي يرمز لها بالزكاة أو الإنفاق، لا بد أن تكونا ركنين أصيلين في بناء هذا المجتمع المنشود، لكن اللافت للنظر أن الآية أوردت الشورى بين الصلاة والزكاة (الإنفاق)، تنويهاً بخطورتها، وكأنه تعالى يقول إن الصلاة والزكاة لن تؤتيا ثمارهما المرجوة في تجسيد حقوق الله وحقوق الناس، ما لم تكن الشورى حاضرة في مفاصل المجتمع المسلم، فهي قيمة اجتماعية شرعت في مكة وسورة الشورى مكية، قبل أن تصبح قيمة سياسية في المدينة المنورة من خلال آية سورة آل عمران المعروفة: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾!

٢- الصياغة المعجزة لفواصل الآيات:

والفواصل هي خاتمة الآيات، ومن يتدبرها يجد أنها متصلة بمطلع الآيات ومضامينها اتصالاً مباشراً، حيث تؤكد على ما ورد فيها من معاني، مثل فاصلة آية القوامية، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظْنَ لِمَا كَفَيْتُنَّ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ [النساء: ٣٤]، فلماذا اختار الله اسميه ﴿عَلِيماً كَبِيراً﴾ لكي يكونا فاصلة لآية تتكلم عن قوامية الرجال على النساء؟

لأنه تعالى الذي يعلم من خلق، يعلم يقيناً أن كثيراً من الرجال وبدافع من طغيان التراب الذي يتكونون منه، سيندفعون عند غياب الإيمان إلى الاستعلاء على النساء والتكبر عليهن، فحذرهم سبحانه من هذا الانحراف، بالتأكيد على أن العلو والكبر لا يليقان إلا بمن خلق، أما المخلوقون فهم سواسية في الحلقة سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، وما القوامية إلى درجة إدارية ومسؤولية أسرية منحها الله للرجل؛ لأنه أقدر من الناحية العقلية ولأنه الذي ينفق، ومن ثم سيكون أشد حرصاً على بقاء هذا العقد وخلود تلك العلاقة!

٣- عدم وجود تكرار أو زوائد:

من صور عظمة القرآن ودقة صياغته أنه لا يوجد في أجزاءه وسوره ما يسمى بالتكرار أو الزوائد، وهي التي يمكن حذفها ويبقى المعنى مستقيماً، فكل كلمة وجملة موضوعة في مكانها المناسب، وكأننا في لوحة واحدة لا نواقص فيها ولا زوائد، وهذا مما أجمع عليه دهاقنة اللغة وأئمة البلاغة!

ومهما بدا لأول وهلة من تكرار لجمال في القرآن، كما في سورة الرحمن والمرسلات، فإن التدبر العميق يظهر أن لكل جملة وظيفة يستحيل التنازل عنها وتبقى اللوحة القرآنية بجمالها وجمالها كما هي!

خامساً: التكامل البياني والوحدة الموضوعية:

لقد وصف الله القرآن الكريم بأنه كتاب متشابه في الآية ٢٣ من سورة الزمر، وأكد في نفس السورة أنه قرآن عربي غير ذي عوج، وعلل صياغة القرآن باللغة العربية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]، أي لعلهم يكتشفون بإبانة القرآن وفصاحته عظمة الهداية الثاوية في نصوص آياته فيندفعوا للالتزام بجانب التقوى، بحيث لا يجدهم الله حيث نهاهم ولا يفقدهم حيث أمرهم!

ولا يدرك هذا الأمر إلا من أعمل عقله تفكراً وتفهماً في آيات القرآن الكريم وأخضع قلبه لكلام ربه تأملاً وخشوعاً عند آياته، وهو ما يسميه القرآن بالتدبر، كما ورد في قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فبعكس كلام البشر الذي ينكشف تناقضه واختلافه ويتضح نقصه وقصوره بالقراءة المستبصرة له وتحليل كلماته وتشريح عباراته، فإن القرآن بتدبره على المستويين الأفقي والرأسي إنما يظهر كماله وجماله في أبهى حلة، ويتضح مدى التشابه في بلاغة المباني وتكامل المعاني وائتلاف الهدايات.

وبالطبع فإن تيسير القرآن الكريم لا يعني أنه يعمل بطريقة آلية، بل لا بد من دور للبشر في تأمل حروفه واستنتاج كلماته، ولا بد من إعمال المدارك العقلية في استنباط معانيه واستخراج هداياته، كما

يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمز: ١٧]، حيث تحض الآية على الإدكار العقلي والقلبي في الآيات القرآنية.

وفي تفسير هذه الآية يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: «ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظاً، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيراً، فكل من أقبل عليه يسّر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة، ولهذا كان علم القرآن حفظاً وتفسيراً، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه، قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعان [عليه]؟ ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

وسنضرب في هذا المقام مثالاً لتكامل معاني القرآن بإبراز ما أورد القرآن عن المسؤولية أمام الله، فقد أكد سبحانه وتعالى أن المسؤولية فردية فقال: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧]، وقد تكررت جملة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ بنفس الحروف في أربع سور بجانب الزمر وهي: الأنعام، الإسراء، فاطر، النجم.

وفي المقابل ورد قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ

أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ [النحل: ٢٥]،
 حيث يبدو لأول وهلة أنها تناقض الآية الأولى والمكررة في خمس آيات،
 والحقيقة أنهما متكاملتان، فالمرء لن يُسأل أمام الله إلا عن ما يفعل،
 وما يقوم به من إضلال الآخرين هو من أوزاره وسيتحمل وزره دون
 أن يُنقص من أوزارهم شيئاً، وهكذا فإن الآية الثانية تكمل الأولى
 وتزرع في دواخل المرء الخوف من الله والحذر مما تقترفه يده، وهنا
 فقط تحذير أشد من الوقوع في المعاصي المتعدية لإضلال الناس سيء
 العاقبة وشديد العقوبة!

سادساً: التأثير الرهيب لآيات القرآن على البشر عموماً والمؤمنين
 خصوصاً:

ثبت بالأدلة التاريخية والواقعية أن للقرآن تأثيراً رهيباً على عموم
 الناس بمن فيهم من لا يعرفون اللغة العربية، أما بالنسبة للمؤمنين
 فإنه يتملك جوانحهم ويأسر ألبابهم تماماً ويصبح بوصلتهم الوحيدة في
 حياتهم!

وزاد من تأثير القرآن على عموم البشر أنه جمع بين الهداية والإعجاز
 في آن واحد، حيث يتفق مع سائر الكتب السماوية في تنزله من أجل
 هداية الناس وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان ومن
 دياجير الجهل إلى مصابيح العلم، إلا أنه يزيد عليها في أنه يمثل
 المعجزة العظمى للرسول ﷺ وللإسلام، بينما كانت معجزات الأنبياء
 معجزات حسية ومنفصلة عن كتبهم المقدسة.

يقول الشيخ سيد سابق في كتابه: (دعوة الإسلام، ص ٢٣٣): «إذا كان
 قلب العصا حية معجزة فإن تغيير العقول والقلوب أبلغ في الإعجاز،
 وإذا كان إحياء الميت من الخوارق التي أيد الله بها بعض أنبيائه، فإن

إحياء أمة أمية من الجهل والرذيلة، وجعلها مصدر إشعاع وهداية هو الخارق الذي تتضاءل في جوانبه جميع المعجزات».

الله أكبر إنَّ دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لا تذكر الكتب السوالف عنده طلع الصبايح فأطفىء القنديلا

ولأن دين الإسلام عام لجميع البشر في كل أصقاع الدنيا وخالد لكل الأزمان إلى قيام الساعة، فإن معجزته تتناسب مع هذا العموم والخلود، فهي عابرة لحدود الأماكن وقادرة على ارتياد آفاق الزمان، ذلك أن القرآن كتاب صغير وسهل النقل وميسر التلاوة والحفظ، وبقدر ما يرسم في خطابه العام معالم الهداية، فإنه يحمل في ثناياه براهين تنزله من علياء السماء من عند حكيم حميد، فقد أخفى الله في ألفاظ آياته نبوءات مستقبلية ومكتشفات علمية، بحيث لا يمكن التعرف عليها في أي زمن إلا بوجود نصاب وافر من المعرفة، وبحيث تظل تقدم هذه المكتشفات براهين على نبوة محمد وخلود هذا القرآن وتؤكد أن مصدره هو الله الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يفسده: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾!

وقد أكد المولى عز وجل على أنه سيربهم آياته في الأنفس وفي الآفاق حتى يوقنوا أن القرآن كلام الله الحق، فقال جل شأنه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

ورغم أن العرب كانوا أفصح الأمم ويعتلون ذروة البلاغة والبيان، فقد كانوا مشدوهين من فصاحة القرآن وعظمتها، فشهد له الجميع بالتنزل من لدى قوة خارقة فوق طاقة البشر، وكان ممن شهدوا بذلك

صناديدهم، وانقسمت شهاداتهم إلى قولية وفعلية.

١- الشهادات القولية:

وممن شهدوا بألسنتهم لصالح القرآن الوليد بن المغيرة الذي انبهر ببلاغته الآسرة وشهد بجماله المذهل، فقد استمع ذات يوم للنبي ﷺ وهو يقرأ شيئاً من القرآن، عندما ذهب إليه مفاوضاً باسم قريش، لكنه عاد بغير الوجه الذي ذهب به، وقال عن القرآن: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته!!»

ولما عرف كبراء قريش بخطر هذه الشهادة، قاموا باستفزازة ودخلوا عليه من نقطة ضعفه، حيث الحرص على الجاه والأموال والشرف في وسط كبراء قبيلته، فما زالوا به حتى قال عن القرآن بأنه ﴿سِحْرٌ يُؤْتِرُ﴾، فتزلت آيات تهجوه وتتوعده في سورة المدثر، ومطلعها يقول: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

٢- الشهادات الفعلية:

تتجسد الشهادات الفعلية في جميع الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام، حيث دخلوا إليه من بوابة القرآن الكريم أولاً ثم من باب أخلاق النبي ﷺ الحميدة وحكمته العظيمة، فقد كان انبهارهم بمباني القرآن يشدهم للتفكير في معانيه، وكل من تغلب على أهوائه الشخصية وعصبيته العشائرية ومكانته الجاهلية؛ أدرك أن القرآن الكريم بإعجازه المبهر وفصاحته المدهشة لا يمكن أن يكون إلا كلام الله الحق!

ومن هؤلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ظل يكابر ويعاند فطرته ويواجه الرسول عليه الصلاة والسلام في كل محفل طيلة ست سنوات،

ولأنه كان هو وأبو جهل كفرسي رهان في الفاعلية العالية داخل كبراء قريش فقد دعا النبي ﷺ ربه عز وجل بأن يهدي إلى الإسلام أحب هذين الرجلين إليه، ولما علم تعالى من خير في عمر فقد ألهمه أن يستمع إلى القرآن، وبغض النظر عن تفاصيل قصة إسلامه المختلف فيها، فقد اخترق القرآن قلبه بما يملك من جمال المباني وكمال المعاني، فكان سائقه إلى الله وهاديه إلى هذا الدين العظيم!

وقد قرأت قصص كثير من العظماء الذين اعتنقوا الإسلام في العصر الحديث، فوجدت أن أغلبهم قد ولجوا من بوابة القرآن الكريم وخاصة الأطباء والمهندسين وعلماء الفلك والجيولوجيا والفيزياء والكيمياء والبحار والنباتات والأحياء!

وحول تأثير آيات القرآن على المؤمنين يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

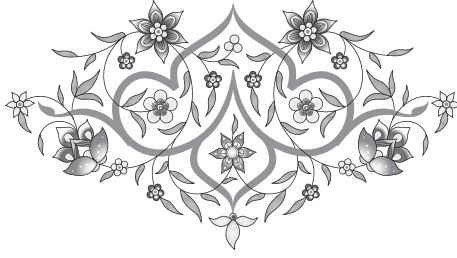
وعند تفسير هذه الآية يقول البغوي: «قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضا في الحسن، ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف.

﴿مَثَانِي﴾ يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والأخبار والأحكام، ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ تضطرب وتشمئز، ﴿مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ والاقشعرار تغير في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، وقيل: المراد من الجلود القلوب، أي: قلوب الذين يخشون ربهم.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي لذكر الله، أي: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات

الرحمة لانك وسكنت قلوبهم، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ
تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشعر من الخوف، وتلين عند الرجاء.



أوجه الهدايات الفنية

يحتوي القرآن الكريم على صور بيانية في قمة الروعة، وهي بهذا تؤكد احتواءه على عدد من أوجه الهدايات ذات الصلة بالفن، ومن أهمها:
أولاً: التصوير الفني الذي يتغلغل في العقول والقلوب:

فالقرآن يمتلك قدرة غير مسبوقة ولا ملحوقة في التصوير الفني الذي يتغلغل في ثنايا النفوس التي تتدبر نصوصه، عبر التأمل العقلي والخشوع القلبي.

ولبروز هذه الخصيصة في القرآن الكريم فقد ألفت كتب ودراسات عديدة في هذا الشأن، ومنها:

- الصورة الفنية في المثل القرآني - دراسة نقدية بلاغية لمحمد حسن الصغير.

- التصوير والرمزية في الأمثال القرآنية لضياء الدين الجماس.

- وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبد السلام أحمد.

- جماليات التصوير في القرآن الكريم لمحمد قطب.

- التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب.

- الصورة الفنية في القرآن لمحمد طوال.

- بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، مقارنة تحليلية

في جماليات الأداء والإيحاء لنور الدين دحماني.

- التصوير الجمالي في القرآن الكريم لعبد سعد يونس.

ومن أبرز مفردات التصوير الفني في القرآن الكريم:

١- التجسيد والتشخيص:

ونقصد به تحويل المعاني المجردة إلى صور محسوسة وكأننا نراها بأبصارنا، مثل وصف الجنة والنار، أو وصف الظلمات والنور، أو تقديم الخبث الشيطاني والمكر الإبليسي في صور مادية محسوسة!

لقد وصف الله النار بأنها ذات طبقات متعددة ودركات يشتد حرها ويتصاعد لهبها كل ما تم النزول نحو الأسفل، اتساقاً مع الفوارق الفردية في المعاصي، فالذين فارقوا ما منحهم الله من كرامة وما أولاهم به من رفعة، مؤثرين التسفل ومبالغين في الانحطاط أكثر من غيرهم، فإنهم يكونون أشد في العذاب منهم، وهذا من تمام عدل الله الذي يمتلك ميزاناً يحسب مثقال الذرة من الخير أو الشر، ولا يظلم ريبك أحداً. وذكرت آيات القرآن أن وقود النار هو الناس والحجارة، بحيث تظل في حالة من التلظي والتسعر، ووصفتها بأنها ﴿لَظِي ۝ نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَى ۝﴾ [المارج: ١٥-١٦]، وأنها ﴿أَلْحَطْمَةٌ﴾ التي تدمر وتلتهم كل شيء يقع أمامها، وأنها ﴿سَقْرٌ﴾ التي ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾!

وإن مفردات هذه الأوصاف منتقاة من قاموس اللغة العربية، حيث تُبرز هذه الأوصاف شدة العذاب الحسي والمعنوي الذي يقع فيه من عذبوا الناس في الدنيا وقلبوا حياتهم إلى جحيم، مع الإخبار بأن طعامهم الزقوم، وأن شرابهم من غسلين وهو صديد أهل النار!

وبالطبع فإن هذا التجسيد لأمر غيبية لا نعرف عن كنهها شيئاً، يجعل العقل في حالة من اليقظة ويجعل القلب حساساً تجاه أي معصية!

٢- التناسب والتركيب:

ونقصد هنا التناسب بين المباني والمعاني وتناسق الألفاظ وانسجام

الجرس الموسيقي مع مضمون الصورة لإحداث التأثير المنشود على الجوانح والجوارح.

ويأخذ التناسب أبعاداً متعددة، ومنها التناسب بين سائر الآيات، والتناسب بين مختلف المقاطع، والتناسب بين جميع السور، بحيث يبدو القرآن الكريم كله من الناحية الجمالية كأنه ١١٤ تحفة فنية فاتنة في متحف متكامل الجمال إلى حد إبهار العقول وإدهاش القلوب!

وهناك تناسق في الألفاظ المختارة، وهو ما يسمى بالمشاكلة اللفظية، بحيث يتم اختيار اللفظة الأكثر مناسبة لإجلاء المعنى وتقديمه في صورة حسية مفهومة، كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾، فإن كلمة (مناكب) جمع كلمة منكب وهو ما بين الكتف والعضد، وتعطي صورة حسية للمشي في جوانب الأرض، حيث توجد استعارة بلاغية شَبَّهت المشي في مناكب الأرض بركوب البعير بل وتمكَّن الراكب منه، فكأن الأرض لكامل تذييلها قد امتلكت مناكب يمكن المشي عليها مع التمكّن فيها!

وزبدة القول إن تدبر نصوص القرآن يكشف عن أن هذا الكتاب الذي تنزل متفرقاً طيلة ٢٣ عاماً، إنما هو نسيج متكامل ونسق متحد في مبانيه ومعانيه!

ثانياً: المخاطبة الشاملة للجوانح:

ونعني بها إثارة العقل والحس والوجدان مع بعضها، مما يخلق فهما جديداً ويؤثر في ذاكرة المتلقي، وسنوضح هذا الأمر من خلال النقاط الآتية:

١- دعوة الجوانح للامتلاء بالجلال والجمال:

فالآيات التي تحتوي على مفردات التفكير، وعددها يساوي نحو سدس آيات القرآن، تحاطب العقول والقلوب معاً بأسلوب متكامل، فيدعو العقل لتدبر آيات القرآن وللتفكير في آيات الأنفس والآفاق، مثل خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وصولاً إلى إدراك براهين وحدانية الله وقدرته، مستخدماً المنطق والاستدلال، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، بينما يخاطب الوجدان بتذكيره بنعم الله العظيمة وجمال خلقه، وإثارة مشاعره لاستشعار عظمة الخالق وتدفعه إلى الإيمان والخشوع، من خلال الصور المؤثرة وضرب الأمثلة التي تحرك القلب وتخلق فيه موجة من الانفعال بجلال الله وجماله، وتدعوه للشكر والتضرع والعبادة.

ومن المعلوم أن القرآن يجمع بين الخطابين العقلي والوجداني في تناغم كامل وانسجام تام؛ فالوجدان ينفع بالجمال والإحسان، والعقل يتدبر الآيات والبراهين، ويتضافر الاثنان في قيادة الإنسان نحو الإيمان العميق بالله الواحد الذي لا نظير له ولا ند ولا شريك، بمعنى أن الوجدان السليم لا يتعارض مع العقل الصحيح بل يكملان بعضهما البعض في رحلة الهداية والعبادة الشاملة في محراب الأرض، وقد دمج القرآن بين الاثنان حينما قال: ﴿أَلْهَمَ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، فجعل القلب كأنه في مكان العقل من حيث الفهم، بمعنى أنهما توحدتا كأنما صاراً شيئاً واحداً!

ولما كانت علاقة المسلم بالكون تقوم على ناحيتي الاستثمار والاستهداء، فإن الاستمتاع بالجمال يدخل ضمن مفهوم الاستثمار، أي الاستفادة من كل الإمكانيات التي أوجدها الخالق في الكون من أجل

سعادة الإنسان في الدنيا وفوزه في الآخرة!

٢- استثارة الخيال البشري إلى أبعد حد:

والخيال في الرؤية الإسلامية لا يستخدم للهروب من الواقع، بل لتعميق الفهم، وتحفيز التفكير، وملئ المساحات الفارغة، وتوجيه السلوك نحو الخير، مما يجعله أداة قوية للترقي الفكري والتزكية الروحية وللتغيير الاجتماعي المنشود.

ونضرب المثل لاستثارة القرآن للعقل البشري بشجرة الزقوم التي تمثل الطعام الأساسي لأهل النار، فقد قال تعالى في وصفه: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٥]، والطلع هو الأغصان والثمار، وقد شبهها الله تعالى برؤوس الشيطان، وبالطبع فإنه لا أحد يعرف الشيطان، لكن الجميع يعرفون أنه شر محض لا خير فيه، وأن خبثه لا حدود له ولا منتهى لضرره، ومن ثم فإن القرآن هنا يستثير الخيال ليرسم أقبح صورة لطلع شجرة الزقوم التي ربطها الله برؤوس الشياطين! يقول د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق في كتابه (التفسير الوسيط) وهو يفسر الآية السابقة: «ثمرها الذي يخرج منها، وحملها الذي يتولد عنها، يشبه في تناهي قبحه وكراهيته، رؤوس الشياطين التي هي أقبح ما يتصوره العقل، وأبغض شيء يرد على الخاطر.

ونقل عن الزمخشري صاحب الكشاف ما ملخصه: «شبه حمل شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، للدلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخالطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، أو كأنه رأس شيطان، وإذا صوره المصورون صوروه على أقبح صورة.

كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شرف فيه، فشبها به الصورة الحسنة، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وهذا تشبيه تخيلي..

ثالثاً: توظيف القوالب الفنية لخدمة الإيمان وتحقيق الهداية:

ومن هذه القوالب الفنية:

١- القصة:

فقد احتوى القرآن على قصص كثيرة وأهمها: قصة فتية الكهف، قصة ذي القرنين، قصة أصحاب الجنة، قصة مؤمن آل ياسين، قصة مؤمن آل فرعون، بجانب القصص الجزئية للأنبياء الذين ذكروهم في القرآن وعددهم ٢٥ نبياً، مع الاختلاف النسبي في الذكر بالطبع.

وكم تمتلئ قصص القرآن بصور الهداية، فهي مناجم تكتنز جواهر الدروس ونفائس العبر، وكم ألفت من كتب في مضمار القصص القرآني والدروس والعبر المستفادة منها، وعندني كتابان مطبوعان عن قصص القرآن وثالث في الطريق.

٢- الرواية:

ويمكن أن تكون قصة يوسف وقصة موسى عليهما السلام نموذجين للرواية في القرآن الكريم، والفرق أن رواية يوسف ورد معظمها في سورة واحدة وعنوانها هو يوسف، وهي أطول قصة في القرآن وأكثرها تفصيلاً، لكن اسم يوسف وبعض أجزاء قصته ذكرت أيضاً في سورتين أخريين وهما الأنعام (الآية ٨٤) وغافر (الآية ٣٤).

أما قصة موسى فقد توزعت تفاصيلها في حوالي ٣٤ سورة، وتكرر اسمه أكثر من ١٣٠ مرة، مع تباين في تفاصيل القصة، وأبرز السور

التي تناولت قصته بقدر من التفصيل هي: الأعراف، القصص، طه، البقرة، يونس، الشعراء، غافر، النساء، والمائدة، ووردت كذلك بصورة أقل في سور أخرى مثل: الإسراء، الكهف، النمل، الأنعام، وهود.

وبالمناسبة فإن أكثر السور ذكراً لقصة موسى هي سورة الأعراف، فقد ذكر اسم موسى فيها حوالي ٢١ مرة. ويبدو أن علة هذه الاستطالة في ذكر قصة موسى، هي صراعه الشرس على جبهتين:

الأولى: جبهة الصراع مع الاستبداد السياسي الذي يقف على قمة هرمه فرعون عبر التاريخ البشري كله، فقد وصل به الطغيان إلى حد الزعم بأنه ما علم للناس من إله غيره وأنه ربهم الأعلى، حيث قالها بلسان المقال بعد أن قالها بلسان الحال طيلة حكمه الأثيم!

الثانية: جبهة الصراع مع علل التدين عند قومه اليهود الذين أذاقوه المرات بكثرة تمردهم عليه وعصيانهم لأوامره والتوائهم على توجيهاته، وعدم تورعهم عن تجسيم الله إلى حد الوقوع في عبادة العجل ومطالبتهم لموسى بأن يجعل لهم مجسماً للإله مثل الأصنام، ومطالبتهم إياه بأن يريهم الله جهرة!

٣- الأمثال:

تعد الأمثال في القرآن الكريم وسيلة بلاغية رائعة لتقريب المعاني العقلية المجردة من الأذهان، وتقديمها بصورة مادية محسوسة، لجعلها أسهل في الفهم والتأثير.

وتهدف الأمثال إلى تحقيق أغراض متعددة، وفي طليعتها: تقوية الإيمان الشاوي في الجوانح، وإبراز الحق بصورة ناصعة حتى لا يلتبس على الناس، وتثبيت الحجج حتى تكون قادرة على البرهنة والإقناع.

ومن المؤكد أن للأمثال فوائد عديمة في قضية الهداية والتفكير، بجانب أنها تبرز واحداً من أوجه الإعجاز الرباني للخلق في صياغة هذا القرآن الذي بلغ الكمال في البيان المبهر ووصل إلى التمام في رسم معالم الهداية التي تناسب فطرة الناس وتتسق مع طبيعة الابتلاء العبادي في هذه الدنيا.

وتنقسم الأمثال إلى ثلاثة أنواع:

الأول: أمثال صريحة، وهي التي ترد في مطلعها كلمة (مثل)، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، وهنا يضرب القرآن المثل لمن يتخذون أولياء من دون الله ليحتموا بهم، بيت العنكبوت الذي هو أوهن البيوت، والمقصود هنا البيت الاجتماعي وليس البيت المادي، بدلالة جملة الفاصلة التي تقول: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ووهن البيت المادي واضح للعيان ولا يحتاج إلى علم، بينما لم يعرف البشر وهن البيت الاجتماعي للعنكبوت إلا بعد تطور الدراسات العلمية في بحث حياة الكائنات ومنها الحشرات، فكما أن النحل والنمل نموذجان في قيم النشاط والنظام والتعاون، فإن العنكبوت نموذج في طبيعة الفوضى والارتجال وتسيد قيم الصراع والاقتيال، حتى أن أنثى العنكبوت تقتل زوجها بعد تلقيحه لها وقد تقتل أبناءها، ويحدث أن يقتل الإخوة بعضهم البعض!

ومن هذا النوع ما ترد إشارة في نهاية المثل لتلفت الأنظار إلى أن ما ورد يدخل ضمن الأمثال، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيْعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. يقول ابن جرير الطبري

في تفسير هذه الآية: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيتَه يا محمد يا خاشعاً؛ يقول: متذللاً متصدعاً من خشية الله على قساوته، حذراً من أن لا يؤدي حقَّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفَّ، وعنه عما فيه من العِبَر والذِكر مُعْرَض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرأ.»

ويقول الحافظ ابن كثير: «إِن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾».

ومن أضراب هذا المثل في القرآن: تمثيل المؤمن والكافر كعبد له شركاء متشاكسون وآخر لرب واحد لا شريك له (الزمر: ٢٩)، وتمثيل أعمال الكافرين كالسراب (النور: ٣٩)، وتمثيل نوره كنور في مشكاة (النور: ٣٥)، وتمثيل الذين ينفق ماله رياءً كممثل الصفوان (البقرة: ٢٦٤)، وهناك رسائل علمية وكتب عديدة حول الأمثال في القرآن ودورها في صناعة الفصاحة وإبراز الهداية!

الثاني: أمثال خفية نوعاً ما، وهي التي يرد فيها حرف الكاف بدلاً عن (مثل)، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]. وحول كون الله نور السموات والأرض يقول القرطبي: النور في كلام العرب: الأضواء المدركة بالبصر. واستعمل مجازاً فيما صح من المعاني ولاح؛ فيقال منه: كلام له نور. ومنه: الكتاب المنير، ومنه قول الشاعر:

نسبُ كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلَقِ الصباح عموداً
والناس يقولون: فلانٌ نورَ البلدِ، وشمسُ العصرِ وقمرُهُ.
وقال النابغة الذبياني:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكب

وقال آخر: هلا خصت من البلاد بمقصد قمر القبائل خالد بن يزيد،
وقال آخر: إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها.
فيجوز أن يقال: الله تعالى نور، من جهة المدح لأنه أوجد الأشياء،
ونور جميع الأشياء منه ابتداءؤها وعنه صدورها، وهو سبحانه ليس
من الأضواء المدركة جل وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.»

الثالث: أمثال مرسله، وهي العبارات التي وردت بصورة مختصرة
كصيغة الأمثال التي تشبه القوانين من حيث الاطراد وتشبه الحكم
من حيث الصياغة الجميلة، بمعنى أن الأمثال القرآنية تتضمن حكمة
من جوامع الكلم، واستعملها الناس في كلامهم كاستخدامهم للأمثال،
كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِيئُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، وقوله: ﴿هَلْ
جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

٤- الصوت والجرس الموسيقي:

من المعلوم يقينا أن للقرآن الكريم نظمه المتفرد، فهو ليس شعراً ولا
موسيقى بالمعنى المعروف ولا تجري عليه قوانينهما، لكنه كلام متفرد في
الصياغة والإبهار، وتحتوي تعابيره على جرس موسيقي وإيقاعات فريدة
تختلف عن أوزان الشعر وبحوره المعروفة، ويعتمد في بيانه على تناسق
الألفاظ، وفواصل الآيات، وإيقاع حروفها (همس، جهر، مد)، مما
يخلق لحناً لغوياً مؤثراً يأسر القلوب ويضطرب المشاعر، كصوت الفجر

الذي يتنفس في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، وكأن الفجر هنا كائن مادي يتنفس ونسمع صوت شهيقه وزفيره في جرس كلمة تنفس، أو سكون الليل في قوله تعالى: ﴿إِذَا سَجَى﴾ بمطلع سورة الضحى وكان كلمة سجي تعبر عن الهدوء الذي يحمله الليل.

ويُعرف هذا الأمر عند علماء البلاغة بـ «الجرس القرآني» الذي يتناغم مع المعنى ويحقق إبهاراً بيانياً وجمالياً يختلف عن الشعر ويصل إلى حد الإعجاز، ومن ثم فإنه يُثري تجربة الاستماع ويساعد من يريد على التأمل!

ومن يتأمل مباني القرآن ومعانيه يدرك بوضوح وجود علاقة بين جرس الكلمات وصوت الأفعال، كما في كلمة ﴿صَرَصِرٍ﴾ التي يعبر جرس حروفها عن صوت الريح المدمرة للأشياء والمهلكة للكائنات، كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَّارًا فِي يَوْمٍ نُحَسِّسُ مَسْتَمِرًّا﴾ [القمر: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَّارًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]

وفي الأصل فإن هذا الريح من صور العذاب الاستتصالي الذي قضى على قوم عاد ولم يترك منهم أحداً، بعد أن تجاوزوا كل الحدود وأصموا أذانهم عن سماع صوت الحق والهدى، ولكن لماذا سماه القرآن عذاب الخزي؟

لأن الله لم يرد القضاء عليهم على الفور، وإنما أراد أولاً إلباسهم ثياب الخزي أمام من كذبوهم وكالوا لهم التهم ودبروا لهم المكائد وواجهوهم بشقى أصناف الأذى النفسي والحسي، وقد ورد في القرآن بأن هذه الريح استمرت سبع ليالٍ وثمانية أيام، وأنها كانت تقتلهم ببطءٍ وتدمر كل

ما صنعوه أمام أعينهم في هبوب لا توقف له، وذلك من أجل أن يزداد عذابهم النفسي والحسي!

ويتضح العذاب الشاوي في الريح من إفراد كلمة ﴿رِيحًا﴾، ومن وصف الريح بـ ﴿صَرُصْرًا﴾، حيث أن هذه الحروف تحمل صوت الريح الذي يكمن فيه البرد الشديد والعذاب الأليم، حتى أني أتخيل سمومه وهي تفتح مسامات أجسامهم فيمزقها، وبرده وهو يتغلغل في عظامهم فيحطمها، وصوته المخيف وهو يقتحم قلوبهم فيزلزها، ولذلك سمي القرآن أيام هبوب هذا الريح ﴿أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ أي أيام شؤم لا حدود له ولا انقطاع، وحدد الغاية من هذا كله بقوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾!

وتأتي كلمة ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ في ذات السياق الذي نتكلم عنه، وذلك في قوله عز وجل: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦].

وقد جاء في تفسير البغوي لهذه الآية: "فوارتان بالماء لا تنقطعان". "والنضخ": فوران الماء من العين. قال ابن عباس رضي الله عنه: «تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله». وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «تنضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر»!

وما يهمنا في هذا المقام هو أن ندرك أن الحروف المستخدمة في كلمة نضاختان تحملان ما يشبه صوت الماء وهو ينقذف بقوة كما نرى اليوم في النوافير، وهذا من صور الجمال الأسر في صياغة تعابير القرآن الكريم!





الهدايات القرآنية في المجال الإعلامي

هدايات التثبت 

هدايات التحصين 

هدايات التمكين 

د. مجيب الحميدي 

مقدمة:

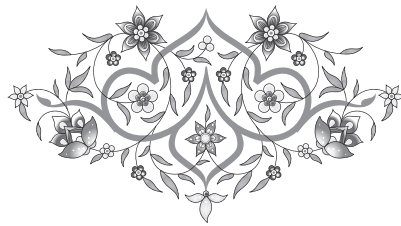
رغم توالي ثورات الإعلام والمعلومات في العقود الأخيرة، وولوجنا عصر ثورة الذكاء الاصطناعي، إلا أن الخلل المعلوماتي يزداد اتساعاً ويصل إلى درجة وصفه من منظمة الصحة العالمية بـ: الوباء المعلوماتي، وهذا الخلل لا يقتصر على وباء الأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة، ولكنه يتضمن الكثير من التهديدات التي تعيق انتفاع البشرية من المنجزات الهائلة التي تترافق مع هذه التطورات، فقد تضاءلت مساحة الخصوصية، وتعددت آليات وتطبيقات التجسس واختراق البيانات، وجرائم الابتزاز والتنمر الإلكتروني، وساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في تأجيج ثقافة الكراهية وصناعة الصور النمطية وثقافة التفاهة وهوس الشهرة، ومن المؤكد أن هذه الوسائط ليست محايدة بالصورة الساذجة التي كنا نتخيلها عندما نقول: إن «وسائل الإعلام سلاح ذو حدين» فالوسيلة هي الرسالة كما تقول نظرية الحتمية التقنية: وإن لم يسلم بهذه النظرية تسليماً مطلقاً.

وإذا كانت البشرية تعيش هذا التيه في عصر الثورات الإعلامية، فإن السياقات الثقافية والفلسفية والاقتصادية والسياسية تزيد من تعقيدات الواقع مع ظهور توجهات ما بعد الحداثية التي ترى أن الحقيقة ليست مهمة، وأن الخبر الكاذب المرتبط بالمنفعة أكثر أهمية من الخبر الصادق الذي لا منفعة منه، ويتم الترويج لذلك في سياق مفهوم ما بعد الحقيقة وهناك شركات تجني الكثير من الأرباح من تفشي المعلومات المضللة، وهناك تصاعد لموجات التيارات الشعبوية وثقافة الكراهية مقابل انحسار لثقافة القيم وحقوق الإنسان، فضلاً عن مخاطر تسطيح الوعي وإشاعة ثقافة اللذة المجردة من الأبعاد الإنسانية والروحية، ومخاطر الإدمان

الرقمي على الألعاب والمواقع غير الأخلاقية، ومحتويات التسلية الفارغة واللغو والمحتويات غير الأخلاقية والحاملة للأفكار الهدامة.

وماتزال معظم الأنظمة السياسية في المنطقة العربية والتيارات الأيديولوجية تستخدم الدعاية السوداء في معاركها السياسية والفكرية، وفي إزاء كل هذه التحديات تأتي الحاجة إلى البحث عن بصيص نور يخرجنا من الظلمات وهداية ترشدنا إلى الصراط المستقيم، ونخصص هذه التناولة لتلمس بعض الهدايات القرآنية في عالم الإعلام، والتي نقسمها إلى ثلاثة أنواع من الهدايات:

- (١) هدايات التثبيت.
- (٢) هدايات التحصين.
- (٣) هدايات التمكين.



هدايات التثبت

اخترنا مصطلح التثبت عنواناً لهدايات التيقن والتبين والتريث، على أساس أن التثبت هو: غاية التيقن والتبين والتريث؛ لأن واجب التيقن يأتي أولاً للتحقق من حقيقة النبأ والمعلومة قبل الارسال من المرسل للرسالة الإعلامية، ويليه واجب التبين من المتلقي للرسالة، ويلي التبين واجب التريث في مشاركة الخبر أو القيام بأي فعل يترتب على مضمونه. والتفريق بين التبين والتثبت في القرآن الكريم يؤكد من يثبت للقراءات القرآنية هداية إضافية، فإذا كانت قراءة الجمهور (ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وابن عامر) لآيتي سورتي النساء والحجرات «فتبينوا» تفيد معنى التحقق؛ فإن قراءتي حمزة والكسائي «فتثبتوا» تفيد معنى التثبت عند من يُفَرِّق بين التبين والتثبت، وهذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسي، يقول أبو علي: «حجة من قال (تثبتوا) أن التثبت هو خلاف الإقدام، والمراد التأني، وخلاف التقدم، والتثبت أشد اختصاصاً بهذا الموضع»، وقال الشوكاني: «والمراد من التبين: التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر».

ومن خلال تفسير الشوكاني نستطيع القول: إن الغرض من التبين والتيقن والتريث هو التثبت أو الاستناد على أصل ثابت قبل الإقدام على أي عمل قولي أو اعتقادي أو عملي بناءً على معلومة غير موثوقة. وبناءً على ذلك فإن كلمات التيقن والتبين والتثبت وإن كانت متقاربة المعاني، إلا أن التمعن في الدلالة الخاصة يكشف لنا بعض الفروق المهمة، فالتيقن واليقين يأتيان في الغالب في وصف العلم والمعلومة التي ترتفع

فوق مرتبة الشك والظنون والأوهام كما نلمس ذلك بوضوح في الآية الكريمة قال تعالى: ﴿إِنْ نُّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِّقِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]. وجاء في لسان العرب «اليقين: العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر، وقد أيقن يوقن إيقاناً، فهو موقن، ويقن ييقن يقناً، فهو يقن».

واليقين: نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل، تقول علمته يقينا.

وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ وجاءت كلمة اليقين في القرآن الكريم صفة للعلم والخبر والنبأ ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ﴿بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾.

وأما التبين فإن البين في الأصل هو البعد ويستخدم استخدماً ضدياً في التعبير عن القرب والظهور؛ لأن (بان) في لغة العرب بمعنى ابتعد ومن ذلك قولهم: «بانت سعاد» واشتق الفقهاء من هذا المعنى مصطلحات البيّنونتين الكبرى والصغرى، وجاء البين بمعنى الظهور والوضوح في آيات قرآنية كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥]. ومن يتبع الاستخدام القرآني للبين يجد أن القرآن يستخدم كلمة بيّن في وصف الحجة أو البلاغ الواضح الكافي لإقامة الحجة قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُبِينِ﴾ [النور: ٥٤]. وأما التثبت فيأتي بعد التبين وبعد أن يصبح الخبر أو النبأ أصلاً ثابتاً نستند عليه في أي تصرف يترتب على الخبر.

وفي سبيل تلمس هدايات القرآن الإعلامية في التيقن والتبين والتثبت سنحاول التفريق بين هذه المصطلحات من خلال تقسيم هدايات القرآن في التعامل مع الخبر على النحو الآتي:

إذا كانت هداية التبين القرآنية تبدأ عند تلقي الخبر بالنسبة

للمتلقي، كما سنبين لاحقاً؛ فإن هداية التيقن والتحري تخص المرسل، فالمرسل سواء كان صحفياً رسمياً أو ناشراً لخبر بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي، يجب أن يتحرى الصدق ولا ينشر أو يبث خبراً ما لم يتحقق منه، ويتأكد من سياقاته، ولا بد أن يستشعر مسؤوليته الأخلاقية قبل النشر وأن يتذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وجميع الآيات القرآنية التي تحث على الصدق وتحدث عن منزلة الصادقين وتوعد الكاذبين.

وفي ضوء هذا التفريق فإن هداية التبين أخص بالمستقبل للرسالة الإعلامية؛ وهداية التيقن والتحري أخص بالإعلامي المرسل للخبر والمعلومة.

وهداية التريث تشمل المرسل والمستقبل في نفس الوقت، فالمرسل والمستقبل يحتاجان إلى التريث والتأمل في السياقات بعد التيقن والتبين. والهداية الأولى من هدايات التثبت هي هداية التيقن للمرسل.

الهداية الأولى من هدايات التثبت:

أولاً: هداية التيقن: «هداية المرسل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وتشمل هداية التيقن عدداً من المحاور منها ما يلي:

١- التيقن من صحة الخبر قبل النشر:

مثلاً أننا مطالبون بالتبين عند تلقي الخبر فإننا مطالبون بالتيقن والتحري قبل بث الخبر وإرساله، فالقرآن الكريم يربط وجوب التحري عن الحقائق قبل نشر أي معلومة، وعدم نشر ما لا يتم التحقق منه بالمسؤولية الإيمانية عن الحواس التي أنعم الله علينا بها وسيحاسبنا على إهمال استخدامها في التيقن والتحري يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويصف القرآن الكريم المشركين بعدم الحرص على التيقن واتباع الظن بقوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ [الجنائفة: ٣٢].
﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وهكذا يصبح الإعلامي المسلم ملزماً ببذل أقصى الجهد في التحري والتيقن؛ لأنه لن يضر نفسه فحسب، بنشر معلومة غير موثوقة لكنه سيلحق الضرر بجميع من يتلقى الخبر، وسيحاسب يوم القيامة على كل كلمة قالها أو نشرها قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

ولهذا جاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» رواه مسلم وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ» صححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وهذه التوجيهات القرآنية تؤكد بأن كل كلمة أو معلومة ينقلها صاحبها تخضع للمحاسبة، مما يستلزم التحري الدقيق قبل النطق أو الكتابة. وقد عاب القرآن الكريم الذين يتناقلون إشاعات القذف بأنهم يتلقون الأخبار بألسنتهم

ويبثونها مباشرة للآخرين دون تمحيص قائم على علم قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

٢- ضرورة استحضر الوعيد الشديد للمتساهلين بالتيقن ونقل شهادة الزور:

اقرنت شهادة الزور في القرآن الكريم بالشرك وعبادة الأصنام قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وأكد القرآن الكريم على أن عقوبة الإسراف في الكذب هي الحرمان من الهداية قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

وأن الكذب من علامة انعدام الإيمان الحقيقي قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

وتزاد جريمة الكذب إثماً بمقدار الضرر الذي يترتب على الكذب وشهادة الزور الذين يصيبا الآخرين.

هل يقلل إثم الكذب وشهادة الزور لو كان الضحية من أعداء المسلمين والغرض الدفاع عن المسلمين؟

لا يفرق القرآن الكريم بين إثم شهادة الزور حين يكون المتضرر من الزور مسلماً أو غير مسلم، ولو كان ألد أعداء الإسلام، وهناك حادثة شهيرة في السيرة النبوية تناولها القرآن الكريم، وهي حادثة البهتان الذي تعرض له يهودي يُدعى «زيد بن السمين» في المدينة

المنورة، هذه الحادثة وردت في سياق تفسير الآيات القرآنية (١٠٥-١١٢) في سورة النساء. والآيات توضح كيف أن الوحي تدخل للدفاع عن الحق وإنصاف المظلوم، بغض النظر عن دينه أو عرقه، وتحذيرًا من الوقوع في البهتان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ١٠٥ ﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٦ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ١٠٩ ﴾

[النساء: ١٠٥-١٠٩]. والروايات تشير إلى أن الحادثة تتعلق بشخص يُدعى طعمة بن أبيرق، وهو من المسلمين، سرق درعًا وأخفاه عند يهودي يُدعى زيد بن السمين ليتهمه بالسرقة، وعندما كُشفت السرقة، حاول بعض المسلمين الدفاع عن طعمة وتبرير موقفه، ولكن الله تعالى أنزل هذه الآيات لتبرئة اليهودي المظلوم وإدانة الفعل الباطل.

والقرآن هنا يؤكد مبدأ العدالة المطلقة، فلا يُسمح بالانحياز لمجرد الانتماء الديني أو العرقي، بل يجب الوقوف مع الحق دائمًا.

كما يحذر القرآن من التستر على الظلم أو الدفاع عن الخائنين، والآيات تدل على ضرورة تحري العدالة عند نقل المعلومات، وعدم اتهام أي شخص دون دليل.

وتطبيق ذلك في الإعلام يعني أن المرسل يجب أن يتجنب اتهام الأبرياء

أو ترويح أخبار تفتقر إلى أدلة دامغة.

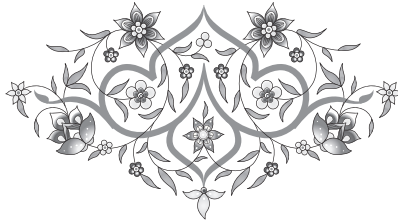
والقرآن لم يبرر البهتان حتى لو كان المتهم من غير المسلمين، مما يعكس مبدأ عالمياً للمصداقية والعدالة.

والإعلامي الذي ينقل المعلومات أو الأخبار يتحمل مسؤولية كبرى أمام الله إذا نشر بهتاناً، وهو مستوحى من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾.

ويدشير القرآن إلى خطورة التستر على الخطأ أو تبريره، وهو درس لكل إعلامي أن يكون صادقاً في تقاريره، حتى لو كانت الحقيقة غير مريحة أو تتعارض مع مصالحه.

وإن حادثة زيد بن السمين توضح أن البهتان خطيئة عظيمة تتطلب التثبت والتحري في كل معلومة قبل نشرها.

هذه القصة وغيرها تشكل دعامة أساسية لهداية التحري الخاصة بالمرسل الإعلامي؛ لأنها تبرز أهمية العدالة والصدق والمسؤولية الأخلاقية والدينية في نقل الرسائل الإعلامية.



هداية التبين

هداية المتلقي «المستقبل قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

هداية التبين في القرآن الكريم تتمثل بصورة واضحة في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ونلاحظ في الآية الكريمة أنها تتحدث عن المتلقي والمستقبل للنبا، فالمرسل هنا قد يكون مجهول الحال أو فاسقاً ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ والمتلقي هو المخاطب بهذه الآية الكريمة.

وترتبط بهداية التبين مفاهيم أخرى منها:

١- هداية التبين بالتفكير الناقد والتوجيه بالبحث عما وراء الخبر:

هداية التبين تفرض عدم الاكتفاء بظاهر الخبر وضرورة استكشاف ما وراء الخبر ولو تأملنا في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥] والقرآن هنا يحذر من الانبهار بالكلام المزخرف أو المظاهر البراقة التي قد تخفي وراءها نوايا خبيثة.

والإنسان قد يبدو صالحاً في كلامه وشهاداته، لكنه يخفي في داخله شراً، وكذلك الرسالة الإعلامية قد تظهر شيئاً وتبطن هدفها الحقيقي، ووظيفة المتبين الفطن هي كشف الهدف الحقيقي للرسالة الإعلامية وعدم التسرع في الحكم على الأشخاص أو الأخبار بناءً على الظاهر فقط، بل لابد من التحليل والنظر في الأفعال التي تكشف حقيقة الأقوال،

فهناك من يُظهر التدين وحسن النية، ولكنه يسعى للإفساد في الأرض، مما يُبرز أهمية النظر إلى العواقب والنتائج لا الاكتفاء بالتصريحات. والقرآن الكريم يدعونا إلى ممارسة التفكير الناقد وتحليل ما وراء الخبر، وعدم الانسياق وراء الظواهر والمظاهر فقط، والتأكد من صحة الأخبار وربط الأقوال بالأفعال.

وهذا التوجيه الإلهي يُؤسس لمنهجية إعلامية وفكرية قائمة على الحقيقة، مما يحمي المجتمع من الفساد والتضليل، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الهداية التي تؤكد على أهمية التفتن لما وراء الخبر وعدم الاكتفاء بظاهره في أكثر من آية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

٢- ارتباط هداية التبين بالمسؤولية الاجتماعية:

والهداية القرآنية في التوجيه إلى التبين والفحص للمحتوى المعلوماتي والإعلامي تربط التوجيه بما يترتب عليه من الأضرار الاجتماعية فقوله تعالى: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ والضرر الذي يلحق الفرد المتهاون في الثبوت والذي يضع نفسه في مواقف محرجة تدفعه إلى تأنيب الذات وتنعكس سلبيًا على صحته النفسية وثقته بذاته قال تعالى: ﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

٣- تيقن المرسل وتبين المستقبل في قصة قرآنية:

تتنوع أساليب القرآن الكريم في تعزيز هداية التبين والتيقن عند المستقبل والمرسل، وفي قصة سليمان عليه السلام والهدهد في سورة النمل تترافق الإشارة إلى الهدايتين في وقت واحد يقول تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

ويأتيه الرد من سليمان ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]، فقد كان الهدهد حريصاً على التيقن والتحري والدقة قبل الإعلام والبث للرسالة، وهذا واجب المرسل، وكان سليمان ﷺ حريصاً على التحقق من صحة الخبر وعدم الاكتفاء بتأكيد الهدهد على تيقنه من صدق الخبر، فلا بد من وضع الخبر على طاولة النظر والفحص والتحري للتحقق من صحته وملابساته وسياقاته.

وقد يرى البعض أن هناك تداخلاً بين وظائف التبين والتيقن فقد يصح استخدام التبين والتيقن للمرسل والمستقبل معاً وهذا إذا صح لغةً، فإنه لا يمنع من هذا التفريق الفني الذي نحتاج إليه عملياً لتحديد هدايات التلقي وهدايات الإرسال؛ لتأكيد أهمية استصحاب هذه الهدايات في جميع الأحوال.

جدول مقارنة هداية مرسل النبا المتيقن مع هداية مستقبل النبا المتبين

﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾	مرسل النبا المتيقن
﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾	مرسل النبا غير المتيقن
﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	مستقبل النبا المتبين
﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾	مستقبل النبا غير المتبين



هداية التريث في نشر الخبر والمعلومة

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٢] لا يكفي أن تكون الرسالة صادقة وحقيقية حتى يتم بثها ومشاركتها مع الآخرين، فثمة معايير أخلاقية يحثنا القرآن الكريم على التقيّد بها قبل السعي من أجل تحقيق سبق الإخباري أو الربح التجاري، فكما نحتاج إلى هداية التيقن عند بث الخبر وهداية التبين عند تلقي الخبر فإننا نحتاج أيضًا إلى هداية التريث قبل بث الخبر.

وهداية التريث في نشر الأخبار تحمل توجيهًا قيمًا للمرسل الإعلامي، بأن يكون واعيًا بمسؤولية الكلمة التي ينقلها. والقرآن يضع أساسًا أخلاقيًا لهذه الهداية، يحمي به المجتمعات من الفوضى والذعر الناتجين عن الأخبار غير المدروسة.

وهذه الهداية ليست فقط ضرورة دينية، بل أيضًا متطلبًا مهنيًا وإنسانيًا في أي نظام إعلامي يسعى إلى الخير والاستقرار للمجتمع.

فإذا كان الخبر سيسبب بحالة من الذعر الاجتماعي الذي يهدد استقرار المجتمع وينتج عنه حالة من الهلع والقلق الاجتماعي فينبغي التريث في نشر الخبر، والتريث لا يعني إخفاء الحقائق، ولا سيما عندما يتطلب الأمر إبلاغ الناس بالمخاطر، ولكنه يعني الحرص على التوازن في نشر الخبر، وهذا التوازن قد يحتاج إلى العودة إلى الخبراء

لتقدير المصلحة والمفسدة يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ ۗ وَوَرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

فالأية تشير إلى الأحداث والأخبار المتعلقة بالجوانب الحساسة للمجتمع، سواء كانت أخباراً تبعث على الطمأنينة أو تثير الفزع والخوف ومن ذلك الأخبار المتعلقة بالأمن والاستقرار، وأخبار الكوارث الطبيعية أو الأزمات الاقتصادية، والإشاعات التي تتعلق بالصراعات أو القضايا الأمنية. والآية القرآنية حذرت الإذاعة غير المسؤولة للخبر ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ وهذه الإشكالية تحضر بصورة كبيرة لدى الإعلامي الحريص على السبق الصحفي، والتسرع في نشر الأخبار دون التحقق من سياقاتها أو النظر في عواقبها.

وتؤكد الوقائع أن إذاعة الأخبار السلبية أو المثيرة دون تثبيت قد تؤدي إلى إشاعة الفوضى أو الذعر في المجتمع، وهو ما ترفضه القيم القرآنية التي تطالبنا بالعودة إلى المختصين بدلاً من نشر الأخبار بشكل عشوائي، وتوصي الآية بالرجوع إلى «أولي الأمر» وهم: أهل العلم والخبرة، والهدف هو التحقق والتثبت قبل اتخاذ أي إجراء أو نشر أي خبر.

أهمية هداية التريث:

إذا كان التبين والتيقن يجنبنا نشر الأخبار الكاذبة فإن التريث يؤدي إلى تجنب نشر الأخبار المبالغ فيها والتي لا ندرك سياقاتها وعواقبها حتى لو كانت صحيحة؛ للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي وتقليل حالة الهلع والفوضى التي قد تترتب على الأخبار غير الدقيقة.

والتريث يحاصر كيد الشيطان في إثارة البلبلة والفوضى والذعر ومن هنا نفهم اختتام الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ لأن نشر أخبار مثل حدوث هجمات أمنية قد تؤدي إلى حدوث حالة من الهلع وربما النزوح غير المبرر ويترتب على ذلك الكثير من الأضرار المادية والنفسية، وفي حالات

انتشار الأمراض الوبائية، فإن نشر الأخبار بطريقة غير مدروسة قد يؤدي إلى إجراءات وقائية لا تستند على أسس علمية وتلحق الضرر ببعض المصابين وعائلاتهم.

ونشر معلومات حول نقص التموينات الغذائية قد يؤدي إلى التكالب على الشراء واحتفاء السلع وارتفاع أسعارها، ولا يعني ذلك إخفاء الحقائق والأخبار كما سنفهم ذلك من خلال تقسيم هداية التريث إلى هدايات فرعية على النحو الآتي:

١- هداية التريث للتأكد من سياق الخبر: يجب التثبت من سياق الخبر ومصدره قبل نشره؛ لأن نشر الأخبار المبالغ فيها أو التي لا ندرك سياقاتها قد يضر أكثر مما ينفع.

ومتطلبات التريث الإعلامي تفرض ضرورة التحقق من المصدر وسياق الخبر.

٢- الرجوع إلى الخبراء والجهات المختصة: مما يساعد على التأكد من السياق والعودة إلى المختصين وخصوصاً في القضايا الأمنية والطبية؛ لأن الخبر قد يكون صحيحاً ولكن قد يتم تقديمه في سياق ملتبس ويُفهم بصورة خاطئة تلحق الضرر بالمجتمع.

٣- الحكمة في طريقة تقديم الخبر وتوقيته: حتى الأخبار المؤكدة يجب أن تُقدم بأسلوب لا يثير الهلع أو يزيد من تفاقم المشكلة، وعلى سبيل المثال في حالات الأزمات الصحية (مثل انتشار الأوبئة)، قد يؤدي نشر أخبار غير دقيقة إلى تفاقم الذعر المجتمعي، كما حدث في بدايات جائحة كورونا، وقبل شهر رمضان المبارك فإن نشر أخبار عن قلة التموينات الغذائية يثير حالة من الهلع والاقبال على الأسواق بصورة

تفاقم الأزمة وتؤدي إلى اختفاء السلع واحتكارها وارتفاع أسعارها، ولهذا فإن من هدايات التريث مراعاة طريقة تقديم الخبر وتوقيت نشره، فقد نحتاج قبل نشر الخبر إلى توضيح السياقات الكاملة للخبر.

٤- التريث لا يعني إخفاء الأخبار: التريث يعني: التأكد من صحة الخبر وسياقاته وعواقبه وتوقيت نشره ولا يعني إخفاء الخبر، ونحن نتحدث هنا عن الخبر المتعلق بالشأن العام ومصالح المجتمع، فالتريث يشمل النظر في توقيت نشر الخبر: فأحياناً يكون تأخير نشر الخبر ضرورياً، خاصة إذا كان المجتمع غير مدرك لسياقاته وغير مستعد لاستقباله أو قد يؤدي نشره في لحظة معينة إلى عواقب خطيرة.

والتريث يعني صياغة الخبر بشكل مدروس وبطريقة لا تثير الذعر أو القلق المفرط، مع إعطاء توجيهات واضحة للتعامل مع الوضع.

وإخفاء الخبر بشكل كامل ليس هو الحل الشرعي أو الأخلاقي، والقرآن الكريم لا يدعو إلى كتمان الحقائق، بل إلى الحكمة في إيصالها، فالشفافية جزء من الأمانة الإعلامية، ولكن بشرط أن تُمارَس بحكمة، فهناك حالات قد تستدعي تأجيل أو تعديل طريقة نشر الخبر بحيث يتم توضيح سياقات الخبر قبل نشر الخبر، فقد يؤدي نشر خبر عن أزمة اقتصادية بشكل غير مدروس إلى هروب المستثمرين وانهيار الثقة إذا كان الخبر ناقصاً أو سياقاته غير واضحة، وإذا لم تتوافر جميع الحقائق، للصحفي بالأفضل التريث حتى يتم استكمال الصورة لتجنب التشويش أو نشر معلومات مغلوبة.

وإذا كان الخبر حساساً ويتطلب تصريحاً رسمياً: مثل القضايا الأمنية أو الكوارث الوطنية، فقد يكون من الأفضل انتظار إعلان من الجهات

المختصة لتجنب تضارب المعلومات.

فإذا كان الخبر عن كارثة طبيعية أو وباء مثلاً، يمكن للإعلام بدلاً من بث خبر مثير للرعب عن انتشار ووباء نشر الحقائق مع تعليقات تطمينية وتوجيهات وقائية، مثل: «تم تسجيل عدد من الحالات، والجهات الصحية تعمل على احتواء الوضع» مع تقديم نصائح عملية لطمأنة الجمهور وتشجيعه على التحرك الإيجابي بدلاً من الذعر. وإذا حدثت حادثة أمنية في منطقة معينة، قد يكون التريث مطلوباً لتجنب نشر تفاصيل قد يستغلها الجناة، ففي هذه الحالة: يُكتفى بنشر الخبر بشكل عام، مثل: «الجهات المختصة تتعامل مع حادث أمني، وتوصي المواطنين بالابتعاد عن المنطقة».

وهذه الهداية القرآنية في التريث تتفق بعض المعايير الأخلاقية والمهنية المتفق عليها دولياً في العمل الإعلامي ومنها مبدأ الصحة والدقة: التثبت من كل خبر قبل نشره، ومبدأ التوازن: الموازنة بين الشفافية ومصصلحة المجتمع، ومبدأ الشفافية الحكيمة: تقديم المعلومات بشكل واضح دون إثارة الذعر.

ونخلص مما سبق إلى: أن التريث لا يعني إخفاء الحقائق أو كتمانها، لكنه يعني: التحقق من صحة الأخبار وسياقاتها وعواقب نشرها، والنظر في طريقة نشرها بحيث لا تسبب أضراراً، واختيار التوقيت والصيغة الملائمين. وبذلك يتحمل الإعلامي أو المرسل للأخبار مسؤولية كبيرة في تقديم الحقيقة، ولكن بحكمة تحقق الاستقرار الاجتماعي وتمنع الفوضى.



هدايات التحصين

اخترنا البداية بهدايات التحصين من الكلمة الخبيثة قبل الحديث عن هدايات التمكين من الكلمة الطيبة جرياً على قاعدة التخلية قبل التحلية، ورغم عدم تسليمنا المطلق بهذه القاعدة إلا أن ضغوط واقع البيئة الإعلامية تفرض من وجهة نظري هذه البداية مع اعتقادي أن التخلية التربوية مقترنة بالتحلية؛ لأن معالجة أي سلوك سلبي يستلزم بناءً إيمانياً يقوي إرادة التخلي.

وكما تضمن القرآن الكريم هدايات التمكين من الكلمة الطيبة التي سنشير إليها في المبحث الثالث؛ فقد تضمن أيضاً هدايات التحصين من الكلمات الخبيثة ومشتقاتها، وما اشد حاجتنا إلى هذه الهدايات في البيئة الإعلامية والرقمية الحديثة! والقرآن الكريم يولي أهمية كبيرة للكلمة وتأثيرها في بناء المجتمعات أو هدمها، فهو يدعو إلى القول الطيب والبناء، ويحذر من الكلمة الخبيثة التي تنشر الكراهية وتهتك الخصوصية وتتحول إلى وسيلة للتنمر، وصناعة الصور النمطية السلبية، وتستبيح الزور والتضليل.

والكلمة الخبيثة هي أي قول يحمل معاني الإيذاء أو الإساءة للآخرين، سواءً كان ذلك بالتحقير أو الغيبة والنميمة، أو الاستهزاء والسخرية الفردية الجماعية، أو نشر الأكاذيب، أو تشويه السمعة والتنازع بالألقاب واللمز وغيره، ويندرج في الكلمة الخبيثة القذف والكلمة الفاحشة وإهدار الوقت في الإدمان على اللغو، والتحيز «إتباع الأهواء» ولغو الهوس بالشهرة الفارغة.

ومن خصائص الكلمة الخبيثة أنها لا تعتمد على نظرية راسخة، ولا تستقر

على أساس علمي، وتشبيهها بالشجرة الخبيثة يعني أن الخبث قد يكون في المذاق أو الشكل أو الضرر قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]. ويمكننا تفصيل هدايات التحصين من الكلمة الخبيثة ومشتقاتها على النحو الآتي:

هداية التحصين من التضليل والدعاية السوداء

في عالم الإعلام المتسارع، حيث تتنافس الأخبار والمعلومات على جذب انتباه الجمهور، ومع شيوع الاستقطاب السياسي والاقتصادي والايديولوجي والتجاري، يصبح من الضروري امتلاك مهارات التحصين الذاتي التي تمكننا من التمييز بين الحق والباطل، وبين الخبر الصحيح والمضلل.

فالكلمة الخبيثة وخاصة في سياق التضليل الإعلامي، تشكل تحدياً كبيراً، وتستوجب منا وقفةً جادة وتدبراً عميقاً في هدايات القرآن الكريم، ومن ذلك هدايات التحصين من التضليل والإشاعة، وفي التفصيل التالي بيان هداية الحماية من التضليل والدعاية.

١- هداية الحماية من التضليل الإعلامي وقول الزور قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

التضليل هو عملية تقديم معلومات مُضللة أو مشوهة أو كاذبة بهدف توجيه الرأي العام نحو وجهة نظر معينة أو إخفاء الحقائق. ومن مظاهر التضليل:

الأخبار الكاذبة: نشر أخبار لا أساس لها من الصحة.

المعلومات المضللة: تقديم معلومات صحيحة أو فيها جزءٌ من الصحة ولكن في سياق مضلل مع إخفاء معلومات هامة.

المعلومات المشوهة: وهي نفس المعلومات المضللة ولكنها تخلو من قصيدة التضليل.

ويندرج في التضليل التلاعب بالصور والفيديوهات، واستخدام تقنيات التحرير والتعديل لتقديم معلومات مضللة، وصناعة روابط وهمية وغير ذلك من تقنيات التلاعب بالمحتوى. وعند التأمل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]. نجد أن هذه الآية تحذر من تعمد خلط الحقائق بالأكاذيب لخداع الناس، وهو جوهر التضليل الإعلامي، والتضليل يكون بإخفاء الحقائق، أو تقديم معلومات ناقصة، أو تحريف النصوص لخدمة أجندة معينة.

ويهدف إلى التأثير على الجمهور لأغراض سياسية أو اجتماعية أو أيديولوجية أو تجارية، كتشويه سمعة الخصوم، والنيل من سمعة المنافسين سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً أو ثقافياً أو تجارياً.

ويستخدم التضليل أحياناً لإثارة الفتن والقلق وزعزعة الاستقرار في المجتمع.

ومن أمثله: نشر خبر كاذب عن فضيحة مالية لمسؤول معين قبل الانتخابات.

وعرض صورة معدلة لمرشح سياسي يظهر فيها بشكل سلبي، وبث فيديو مفبرك يظهر فيه أشخاص وهم يقومون بأعمال عنف ونحو ذلك.

علاقة مفهوم قول الزور بالتضليل الإعلامي:

إن التضليل يقوم على ركنين أساسيين: الكذب ولبس الحق بالباطل، أو بالاصطلاح الإعلامي: المعلومات الكاذبة والمعلومات المضللة، فإن هداية القرآن في التحذير من قول الزور تندرج في هداية الحماية من التضليل الإعلامي، قال تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقول الزور هو الإدلاء بمعلومات كاذبة تؤدي إلى ظلم الناس، سواء في المحاكم أو في منصات الإعلام، فالإعلام الذي ينشر أخبارًا كاذبة أو يقلب الحقائق يقع في دائرة قول الزور؛ لأنه يضلّل الجمهور عن الحقيقة.

وقد تصل درجة ضرر شهادة الزور في مواقع التواصل الاجتماعي إلى درجة أكبر من ضرر شهادة الزور في المحاكم، فهذا الضرر يصل أحيانًا إلى تعرض الضحية للقتل الحقيقي أو المعنوي، ولهذا فإننا في التحذير من التضليل يجب أن نستصحب معنا كل الآيات التي تحذر من شهادة الزور والكذب والإفك والبهتان.

٢- هداية الحماية من الدعاية السوداء (البروباجندا):

الدعاية والتضليل الإعلامي مفهومان متشابهان في تأثيرهما الضار على المجتمع، لكن بينهما فروقاً محدودة من حيث النية والمصدر وطريقة الانتشار.

ويمكننا القول: إن التضليل المنهجي المنظم يندرج في إعلام الدعاية السوداء أو البروباجندا المضللة، والتي تتلاقى مع الإشاعة والتضليل الإعلامي في استخدامها للكذب، والخداع، وتزوير الحقائق لخدمة أهداف معينة؛ لإقناع الجمهور بمعتقدات معينة، أو تشويه صورة جهة

ماء، أو خلق انقسامات داخل المجتمع.

الدعاية السوداء في القرآن: نموذج فرعون في تشويه صورة موسى عليه السلام:
قدم القرآن الكريم نموذجًا واضحًا للدعاية السوداء (البروباغندا المضللة) في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، حيث استخدم فرعون أساليب ممنهجة لتشويه صورة موسى عليه السلام أمام الناس، حتى وصلت هذه الدعاية إلى قوم موسى أنفسهم، مما يعكس مدى تأثير التضليل الإعلامي عندما يُستخدم بشكل مستمر ومكثف.

ويمكننا تلخيص معالجة القرآن الكريم لهذه البروباغندا الفرعونية على النحو الآتي:

١- عرض كيفية استخدام فرعون الدعاية السوداء ضد موسى عليه السلام:

استعرض القرآن الكريم اتهام فرعون والملا من قومه لدعاية وصف موسى عليه السلام بالسحر في أكثر من موضع، ومع أن فرعون نشر عن موسى عليه السلام إشاعات كثيرة كاتهامه بالجنون والافساد في الأرض وغيره، إلا أن تهمة السحر ترتقي إلى درجة الدعاية المنهجة ولا يظهر ذلك فقط في تكرارها ولكن في سياقات كثيرة منها: مشاركة النخبة في نشر إشاعة السحر، وقرار مواجهة سحر موسى عليه السلام بسحر مثله، وترتيب الكثير من الإشاعات على دعاية السحر.

ويمكن أن نتأمل ذلك في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُوءَكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٧].

ويمكن أن نلاحظ أن ما قاله فرعون رددته الآلة الإعلامية لفرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

ومن يتأمل في طبيعة هذه الدعاية الفرعونية يجد أنها تهدف إلى تشويه الخصم بعد العجز عن مواجهته بالحجة البينة، كما تهدف إلى إثارة مخاوف الجماهير: فالغرض من استخدام أسلوب التخويف بقوله: في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾، إيهام الشعب بأن موسى يهدد استقرارهم، واستخدام الإعلام الموجه يجعل القضية شأنًا عامًا بإشراك الملأ (النخبة) لتكرار نشر الدعاية، وليقرروا معه كيفية مواجهة موسى، مما يجعل الدعاية أكثر انتشارًا وتأثيرًا.

والملاحظ اليوم أن الحكومات أو النخب السياسية تستخدم الدعاية السوداء ضد المعارضين السياسيين باتهامهم بالخيانة أو الإرهاب أو التحريض، وتقوم بتوجيه الإعلام الرسمي لخلق رواية كاذبة تربط المعارضين بالخطر والتهديد للأمن القومي.

٢- كيفية تغلغل الدعاية السوداء في عقول مستخدميها:

بعد سنوات من دعاية فرعون ونخبته من الملأ الأعلى، وحتى بعد أن أظهر الله لفرعون ولسحرته المعجزات، نجد أن فرعون وقومه تأثروا بهذه الدعاية، حتى أنهم خاطبوا موسى بنفس المنطق الفرعوني عندما أحاط بهم العذاب وطلبوا رفع العذاب مقابل قبولهم للحق، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩].

هذا يؤكد أن الدعاية السوداء قد تنجح في تغلغلها في عقول منتجيها،

وأن الدعاية السوداء تترك أثراً نفسياً طويلاً الأمد، وإذا تم تكرار الكذب الإعلامي، فإنه قد يصبح جزءاً من قناعة الكاذبين بوعي أو بدون وعي ويتمسكون بمفردات هذه الدعاية حتى في اللحظات الصعبة.

٣- كشف القرآن لأساليب البروباجندا الفرعونية:

أشار القرآن الكريم إلى أساليب الدعاية الفرعونية في مواجهة دعوة موسى ومنها:

أ- استخدام فرعون لأسلوب «تضخيم الخطر» لإخافة الناس.
قال فرعون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، فالطاغية لا يريد أن يقول للناس إنه خائف على مصالحه الشخصية، ولا بد من ادعاء الخوف على الشعب لإخفاء المصالح الحقيقية للسلطة، وتصوير موسى ﷺ على أنه مهدد للدين والنظام الاجتماعي، وهو أسلوب تستخدمه الأنظمة الاستبدادية، واتهام المعارضين بأنهم «يهددون القيم الوطنية أو الدينية» لتبرير القمع ضدهم أسلوب رائج في الأنظمة السياسية الحديثة، وكذلك استخدام وسائل الإعلام للترويج بأن أي تغيير سياسي يرتبط بالفوضى والدمار.
ب- احتكار الحقيقة ومعرفة المصلحة العامة:

والطاغية في البروباجندا الفرعونية يحاول الظهور بمظهر المحتكر للحقيقة والمدافع على مشروعية الحفاظ على الخير العام والأخلاق العامة وسبيل الرشاد.

قال فرعون في قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فهو يقدم نفسه بأنه المرجع الشرعي والوحيد لمعرفة الصواب وما ينفع الناس، مع منع أي صوت معارض، ومحاولة إقناع الشعب بأن أي رأي مخالف هو انحراف وضلال، وهذا

ما تحرص عليه الأنظمة القمعية من خلال محاولة احتكار الإعلام وصناعة الدعاية السوداء ضد المعارضين.

ج- شيطنة موسى وتحويله من صاحب رسالة إلى مجرم يستحق العقاب. قال فرعون في قوله تعالى: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وهنا نصل إلى مرحلة محاولة تصفية المعارض جسدياً بعد تشويبه إعلامياً.

وربط موسى ﷺ بالإرهاب والفساد لإقناع الناس بضرورة التخلص منه، واتهام المعارضين بالإرهاب أو التآمر لتبرير قتلهم أو اعتقالهم، دعاية رائجة في عصرنا الحديث، بل إنها أصبحت أكثر قوة؛ لأنها تعتمد على وسائل إعلام متطورة ودراسات علمية للتضليل وتزييف الحقائق وإثارة الكراهية ضد شخصيات سياسية أو فكرية معينة.

٤- أساليب القرآن في مواجهة الدعاية السوداء (البروباغندا) في قصة موسى وفرعون:

في مواجهة الدعاية السوداء التي أطلقها فرعون ضد موسى ﷺ أشار القرآن الكريم إلى مجموعة من الأساليب الحكيمة لكشف زيف هذه الدعاية والتصدي لها، وهذه الأساليب يمكن أن تشكل منهجاً إعلامياً قوياً لمواجهة التضليل والخداع الإعلامي في العصر الحديث.

أ- فضح الاستخفاف بالناس والتناقضات في خطاب الدعاية السوداء. أشار القرآن إلى استخفاف فرعون بعقول الجمهور، في قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾، والتناقضات في خطاب فرعون الذي يدعي تارة خوفه من تبديل موسى لدين المجتمع، وتارة يقول: إن موسى يريد إخراج الناس من أرضهم، ورغم أن فرعون نفسه يزعم أنه

الرب الأعلى كما في قوله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤]، وهو الذي يدعي الخوف على الدين والمجتمع، بينما ينصب نفسه إلهًا أعلى، مما يظهر تناقضه ونفاقه، وأن الهدف الحقيقي لفرعون هو الحفاظ على سلطته، وليس حماية الناس، وهذا الأسلوب يمكن استخدامه في الإعلام لكشف تناقضات الشخصيات السياسية أو الجهات التي تمارس الدعاية السوداء في كشف التناقضات في خطاب الأنظمة الديكتاتورية أو الجهات التي تدعي حماية الشعب بينما تمارس القمع، والتي تدعي أنها ضد استخدام الدين لمصالح سياسية وهي في نفس الوقت تستخدم المؤسسة الدينية لمحاربة المعارضة.

ونستفيد من ذلك أهمية تحليل البيانات السياسية والخطابات الإعلامية لمعرفة النوايا الحقيقية وراء الادعاءات.
ب- التحدي العلني وكشف الحقيقة أمام الجمهور.

لقد بين لنا القرآن الكريم كيفية تصدي موسى للدعاية الفرعونية وقبوله مواجهة التحدي في ساحة عامة أمام الجميع وفي وقت الذروة حتى تنكشف الحقيقة للجميع ولا يتمكن فرعون من التلاعب بنتيجة المناظرة، في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].

ومن هذه الهداية القرآنية نستفيد أن من أساليب كشف الدعاية السوداء الدعوة لمناظرات علنية لكشف الأكاذيب الإعلامية أمام الجماهير، ومواجهة الدعاية السوداء في وسائل الإعلام المفتوحة وليس فقط عبر البيانات الرسمية، واستخدام الشفافية والمباشرة في تنفيذ الأكاذيب الإعلامية.

ج- فضح أساليب الخداع في الدعاية السوداء:

بعد أن سحر سحرة فرعون أعين الناس، قال القرآن: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦]، واجه موسى ﷺ هذا السحر القائم على التلاعب بأعين الناس بالحقيقة، فأبطل سحرهم في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [طه: ٧٠]، والقرآن يكشف أن التضليل الإعلامي يعمل بطريقة مشابهة للسحر، حيث يعتمد على الخداع البصري والذهني، والسحرة استخدموا أساليب نفسية لخداع الجماهير، لكن موسى أتى بالحقيقة التي لا يمكن إنكارها.

وهذا يعلمنا أن الرد على الدعاية السوداء يجب أن يكون قويًا وواقعيًا، وليس فقط بالتصريحات، وأنه لا بد من فضح تقنيات التضليل الإعلامي مثل الفبركة الإعلامية، والاقتراسات المضللة، والتلاعب بالصور والفيديوهات.

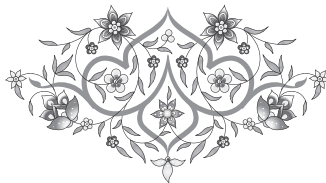
ولا بد من استخدام الأدلة والبراهين العلمية لكشف زيف الادعاءات الإعلامية الكاذبة، ولا بد من إجراء تحليلات إعلامية تكشف كيف يتم التلاعب بالمعلومات لخداع الجماهير.

د- تطوير المهارات التواصلية لتحرير الجمهور من الدعاية السوداء:

حاول فرعون إبقاء الناس خاضعين لدعايته عبر الاستخفاف» في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَالْسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، ولكن موسى كان حريصًا على كشف ألعيب هذا الاستخفاف، وكان حريصًا على تطوير مهاراته التواصلية التي تضمن النجاح في تحرير الجمهور من التضليل الإعلامي، في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ

مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ [طه: ٢٥-٢٨]، فإذا كان فرعون يستخدم أسلوب «الاستخفاف بالعقول» لتوجيه الجماهير، فإن موسى يواجه هذا الاستخفاف بتحرير عقول الجمهور من سطوة تأثير الدعاية الفرعونية بالحوار والتفكير الناقد، ونستفيد من ذلك أهمية تعزيز التفكير النقدي لدى الجمهور لكشف الأكاذيب الإعلامية، واستخدام أساليب الإعلام التوعوي بدلاً من الإعلام العاطفي المضلل، وتطوير برامج توعية إعلامية تساعد الناس على فهم كيفية عمل الدعاية السوداء.

من هدايات القرآن في مواجهة الدعاية السوداء		
أسلوب المواجهة	التطبيق الإعلامي	التحليل القرآني
كشف الاستخفاف والتناقض في الدعاية السوداء	كشف استخفاف ونفاق مروجي الدعاية التضليلية.	﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ [غافر: ٢٩]
المواجهة العلنية بالحقيقة	تنظيم مناظرات إعلامية لكشف الأكاذيب.	﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ [طه: ٥٩]
فضح أساليب الخداع	كشف التلاعب بالصور والفيديوهات والإعلام الدعائي.	﴿يُحْيِلُ إِلَيْهِم مِّن سِحْرِهِمْ﴾ [طه: ٦٦]
تحرير عقول الجماهير من تأثير الدعاية	تعزيز الإعلام التوعوي وتعليم التفكير النقدي.	﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٨]



هداية التحصين من خطاب الكراهية والتنمر

يرتبط خطاب الكراهية بالعنصرية الشخصية أو الجماعية وهو أي كلام أو تعبير يُعبر عن العداء أو التحريض ضد فرد أو مجموعة بناءً على معايير عرقية أو سياسية أو دينية، ويندرج فيه الخطاب العدائي العائد لأسباب شخصية، ويُستخدم لإذكاء النزاعات الاجتماعية أو السياسية أو الأيديولوجية. وفي القرآن الكريم يرتبط خطاب العنصرية والكراهية والعداوة بالشیطان، من بداية الخلق، ويكشف القرآن الكريم أن أول من مارس العنصرية في التاريخ هو إبليس عندما رفض السجود لآدم عليه السلام بسبب اعتقاده بأنه من جنس متفوق.

وهذا يوضح أن العنصرية ليست مجرد سلوك اجتماعي، بل هي سلوك شيطاني متجذر في الغرور والاستكبار، ويبين لنا القرآن الكريم أن إبليس هو أول من نشر خطاب العنصرية والكراهية في التاريخ كما تشير إلى ذلك الآية الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فقد رفض إبليس التوجيه الإلهي بالسجود لآدم عليه السلام؛ لأنه اعتبر نفسه متفوقاً عليه بسبب جنسه، وهذه أول محاولة لتبرير التمييز العنصري على أساس الأصل والخلق، وليس على أساس العمل أو التقوى، وإبليس لم يعتمد على المنطق أو العدل، بل على الشعور بالتفوق الطبقي أو العرقي، وهو الأساس الذي تقوم عليه العنصرية في العصر الحديث، أما خطاب التنمر فقد يتبادر للبعض أنه نفس خطاب الكراهية، وللتفريق بين خطاب التنمر وخطاب الكراهية في القرآن الكريم وفي علوم الإعلام والدراسات القانونية، ويمكننا التركيز على أهداف كل خطاب، فخطاب التنمر يوظف أساليب السخرية

أو الإهانة أو الإذلال بهدف إضعاف ثقة شخص أو مجموعة بأنفسهم، والتقليل من شأنهم ومعظم ضحايا هذا الخطاب من الفئات الضعيفة كالفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة والمستضعفين من النساء والولدان، ويبدأ التنمر بالعنف الإعلامي اللفظي أو غيره، ويشمل ذلك الشتيمة واللمز والهمز والسخرية بألفاظ مهينة وإيماءات ساخرة، والتناوب بالألقاب، والاستهزاء بالمظهر أو القدرات.

وقد يكون من دوافع هذا الخطاب غريزة الغيرة والحسد من نجاح الضحية فيما يفشل فيه المتنمر، وقد يتحول التنمر الإعلامي إلى سلوك عدواني قد يصل إلى القتل ويقدم القرآن الكريم قصة قابيل وهابيل كنموذج أول لجريمة ارتكبت بسبب الغيرة والحسد والتكبر، وهي أول جريمة قتل في التاريخ، وقامت على أساس التنمر الشعور بالدونية، وعدم تقبل الاختلاف وتعد هذه القصة مدخلاً مهماً لفهم العلاقة بين خطاب الكراهية والتنمر والعنصرية ورفض الآخر، وهي استمراراً لمنهج إبليس في نشر الحقد بين البشر.

أما خطاب الكراهية فهو التناحي الجماعي بالإثم والعدوان والعصبية العمياء والعنصرية المريضة ويرتبط بالدعوة إلى التمييز ضد مجموعات فكرية أو عرقية أو طائفية أو اجتماعية أو مهاجرين أو غيرهم، والتحريض على رفضهم ونبذهم وتشريع العنف ضدهم، وتقف وراء خطاب الكراهية في الغالب جماعات منظمة وتكون على مستوى أكبر، وتستخدم وسائل إعلام جماهيرية وحملات منظمة عبر مواقع التواصل مثل وسائل الإعلام والخطابات السياسية والدعاية الموجهة.

تحصين القرآن من خطاب الكراهية والتنمر:

يمكن حصر وسائل القرآن في التحصين من خطاب الكراهية على

النحو الآتي:

أولاً: الآليات الوقائية للتحصين من خطاب الكراهية والتمنر:

تضمن القرآن الكريم الكثير من الآليات الوقائية التي تعمل على تحصين المجتمع من خطاب الكراهية والتمنر ومن هذه الآليات الوقائية ما يلي:

١- التأكيد على أصل المساواة ووحدة الجنس البشري وهدف التعارف الإنساني بين الشعوب والأعراق.

يقرر القرآن الكريم أن الناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد، هو آدم ﷺ وهذا الأصل المشترك يلغي أي مبرر للتفاضل أو التمييز على أساس العرق أو اللون أو الجنس أو أي معيار آخر غير التقوى، وأكد القرآن أن الهدف من التنوع هو التعارف والتآلف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢- تحريم التعالي والاستكبار في الأرض والفساد فيها وتعزيز ثقافة التواضع.

يقول الحق سبحانه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. والتعالي في الأرض والاستكبار فيها هو أحد المحركات الأساسية لخطاب الكراهية والتمنر، حيث يتصور الشخص أو المجموعة المتمنرة أنها أعلى منزلة من غيرها، مما يبرر لها ممارسة الإذلال والتحقير ضد الآخرين، والفساد في الأرض يشمل نشر الفتن والظلم، والإضرار بالمجتمعات، وهو بالضبط ما

يفعله خطاب الكراهية عندما يغذي التمييز والعنف والتحريض ضد فئات معينة.

ومن هذه الهداية القرآنية ندرك أهمية كشف المحتويات الإعلامية التي تعزز الغرور والاستعلاء على فئات معينة، وأهمية تعزيز إعلام يرسخ ثقافة التواضع والعدالة بدلاً من التفرقة والتمييز، والعلو في الأرض يؤدي إلى: الاستعلاء العرقي أو الاجتماعي، مما ينتج عنه ازدياد الآخرين، وخلق بيئة إعلامية تُشجع على احتقار الفئات الأقل حظًا، وتحقير المجتمعات الأخرى بدعوى التفوق الحضاري أو الثقافي، والفساد في الأرض يؤدي إلى: إثارة الفتن بين الفئات المختلفة من خلال خطاب الكراهية، والترويج للعنصرية والطائفية من خلال الإعلام الموجه، وتشويه سمعة فئات معينة عبر الدعاية السوداء، وأكد القرآن أن العاقبة للمتقين في قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وهذا يؤكد أن عاقبة من يمارس الكراهية وخيمة في الدنيا والآخرة، حيث إنه يفقد احترام الناس في الدنيا، ويحرم من الجنة في الآخرة.

والمجتمع الذي يرسخ قيم التقوى هو المجتمع الذي يواجه خطاب الكراهية والتنمر بأخلاق قوية وقيم إيجابية، ومن الآيات الكريمة التي تحث على التواضع في الأرض قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] وهذه الآيات الكريمة التي تحارب الغرور والتكبر والتعالي، هي في حقيقة الأمر تحارب الجذور التي يتأسس عليها خطاب الكراهية والتنمر، و تشدد على أن الإنسان مهما تعاظم، يظل محدودًا، مما يدعو إلى التواضع واحترام الآخرين.

وهذه الآيات تؤكد أهمية تعزيز إعلام توعوي يشجع على احترام الجميع بغض النظر عن خلفياتهم، وكشف الخطابات الإعلامية العنصرية التي تروج للشعور بالتفوق العرقي أو الاجتماعي.

ثانياً: آليات المعالجة القرآنية للتحسين من خطاب الكراهية والتنمر وهي على النحو التالي:

١- النهي عن البغي والظلم والعدوان وبخس الناس حقوقهم.

يحرم القرآن الكريم الظلم بجميع أنواعه وأشكاله، سواء كان ظلماً فردياً أو جماعياً، ويحث على إقامة العدل والقسط بين الناس كافة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]؛ ولأن خطاب الكراهية يستخدم لتبرير التمييز والاضطهاد، وتضييع حقوق وحريات الأفراد والجماعات قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]؛ لأن بخس الناس حقوقهم في خطاب الكراهية يضيء الشرعية على جرائم الفساد في الأرض وانتهاك حقوق المستضعفين.

٢- التأكيد بأن خطاب الكراهية هو خطاب الشيطان.

يصف القرآن الكريم خطاب الكراهية بأنه خطاب الشيطان ويجسد إرادته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٩١]، ووردت البغضاء في القرآن كعقوبة لبعض اليهود على طغيانهم، قال تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ووردت كلمة البغضاء كعقوبة للنصارى في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وجاء ذكر البغضاء في قوله تعالى صفة للمشركين: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتِ

أَلْبَعْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴿٤٧﴾ [آل عمران: ٤٧]،
وبالمقابل جاء ذكر التحرر من الغل والكرهية كنعمة من نعم الجنة
كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ
مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

٣- الدعوة إلى دفع خطاب الكراهية الشيطاني بخطاب الكلمة الطيبة.

يشجع القرآن الكريم على الحوار والتسامح والعفو، ويدعو إلى حل
النزاعات بالطرق السلمية، وتجنب العنف والرد على خطاب الكراهية
بخطاب الكلمة الطيبة والقول الحسن قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا
الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]، والخطاب الإيجابي يساهم في إخماد الفتن
التي يثيرها خطاب الكراهية، والشيطان يستغل الكلمات السيئة لنشر
العداوة بين الناس، ولهذا يأمرنا الله أن نرد بالحسنى.

ونستفيد من هذه الهداية القرآنية أهمية تدريب الإعلاميين
والمشاركين في البيئة الإعلامية الرقمية الحديثة، على أسلوب الحوار البناء
بدلاً من المواجهات الإعلامية الحادة، وتعزيز الحملات الإعلامية التي
تروج لأخلاقيات النقاش الهادئ والحوار المسؤول.

٤- كشف التضليل الإعلامي الذي يغذي خطاب الكراهية والتنمر.

طالبنا القرآن الكريم بكشف خطاب التضليل الإعلامي، قال تعالى:
﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]،
وخطاب الكراهية كثيراً ما يعتمد على التضليل وتقديم معلومات
مضللة لإثارة الفتن، والقرآن يحذر من خلط الحقائق بالكذب؛ لأنه
يؤدي إلى تضليل المجتمعات.

٥- التزام الموضوعية وتجنب التحيز وثقافة الاستقطاب في المنشورات

والتغطيات الإعلامية.

القرآن يأمر بالعدل حتى مع الأعداء، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بأبناء المجتمع الواحد؟ قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨٠]. وخطاب الكراهية عادة ما يعتمد على التضليل والتمييز الظالم ضد فئة معينة.

والهداية القرآنية ترشدنا إلى أهمية فرض سياسات إعلامية تضمن التوازن والحياد في نقل الأخبار والتغطيات، ومساءلة الإعلام الذي يروج لخطاب الكراهية عبر التلاعب بالأخبار والمعلومات.

٦- التشريعات والتعاليم الجازمة بتحريم خطاب الكراهية والتمنر وما يتعلق به.

تضمن القرآن الكريم الكثير من الأحكام التي تحرم مظاهر خطاب الكراهية والتمنر ومتعلقاته، وتشرح ما يترتب عليه من المفسد والشور الاجتماعية ومن ذلك ما يلي:

١- النهي عن السخرية والاستهزاء واللمز والتنازب بالألقاب.

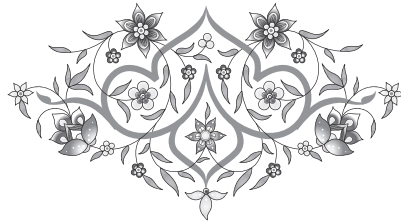
نهى القرآن عن السخرية العرقية من الآخرين، كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]، وهذه الآية تُحذر من خطورة السخرية في إذكاء الكراهية، وتحرم كل أشكال السخرية والتنازب بالألقاب، التي تشكل جوهر التمنر، فالتمنر يبدأ بالسخرية ثم يتطور إلى الإقصاء الاجتماعي والتأثير النفسي السلبي على الضحية، وخطاب التمنر أكثر فردية، وتأثيره نفسي واجتماعي مباشر، لكنه يمكن أن

يتحول إلى خطاب كراهية إذا أصبح عامًا وممنهجًا، وترشدنا هذه الآية القرآنية إلى أهمية مكافحة التنمر الإلكتروني الذي يستهدف الأفراد عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتعزيز برامج التوعية الإعلامية حول آثار السخرية والتناوب بالألقاب.

٢- تحريم الغيبة والنميمة:

الغيبة والنميمة هي عبارة تناجي بخطاب الكراهية والتنمر بطريقة سرية، وتساهم النميمة في توسيع نطاق هذا الخطاب حتى يصل مسامع الضحايا، ويعمل على تغذية ثقافة الكراهية والعداوة؛ ولهذا حرم الله الغيبة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَاب بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]؛ لأن نشر الأخبار المسيئة تغذي ثقافة الكراهية والتفرقة، وتحقق إرادة الشيطان في زرع العداوة والبغضاء.

إن تطبيق هدايات القرآن في معالجة خطاب الكراهية أمر ضروري لبناء مجتمعات يسودها السلام والمحبة والاحترام المتبادل، فإذا تمسك المسلمون بتعاليم القرآن الكريم، واقتدوا بنبي الرحمة ﷺ فإنهم سيكونون خير سفراء للإسلام، وسيقدمون للعالم نموذجاً فريداً في التسامح والتعايش السلمي.



هداية الحفاظ على الخصوصية

قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]

الخصوصية من القيم الإنسانية الأساسية التي اهتم بها القرآن الكريم بشكل عميق وواضح، حيث وضع قواعد واضحة لصيانتها واحترامها، بما يحفظ كرامة الإنسان وحقوقه، ويمنع التدخل غير المشروع في حياته الشخصية، هذه الهداية تشمل جوانب متعددة، نلخصها فيما يلي:

١- تحريم التجسس.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، فالنهي عن التجسس واضح في الآية، وهو سلوك يتضمن محاولة التلصص أو البحث عن عيوب وأسرار الناس دون إذنه، والتجسس يُعتبر تعدياً صريحاً على خصوصية الأفراد، وهو محرم شرعاً؛ لأن الإسلام يحمي الحياة الخاصة للناس، وفي الإعلام الحديث، ينطبق هذا المبدأ على منع انتهاك خصوصيات الأفراد بالتصوير أو التسجيل أو نشر أخبار عن حياتهم الشخصية دون موافقتهم واختراق حساباتهم وصفحاتهم.

٢- استئذان الدخول إلى البيوت.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، فالقرآن يُلزم الإنسان بالاستئذان قبل دخول أي بيت، احتراماً لخصوصية أهل البيت وحياتهم الخاصة، والاستئذان يشمل طلب الإذن بصيغ مهذبة قبل الدخول، حتى لا يُفاجأ أهل البيت أو تُكشف أمورهم الخاصة.

وهذه الهداية القرآنية تنسجم مع القوانين التي تجرم التعدي على خصوصية المنازل أو تصويرها دون إذن أصحابها، وتنطبق أيضًا على الإعلام، الذي يجب أن يمتنع عن تصوير أو نشر أي مادة تتعلق بمنازل أو ممتلكات الأفراد دون موافقة، وخاصة عندما لا يرتبط هذا التصوير بقضايا تخص الشأن العام.

٣- إتيان البيوت من أبوابها.

يقول تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فالآية هنا تأمر بالدخول إلى المنازل من أبوابها، كرمز للأدب واحترام الخصوصية؛ لأن قوله ﴿مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ يفهم منه احترام المسار المشروع والمعلن، دون التسلل أو دخول المنازل بطرق ملتوية تكشف خصوصيات أهلها، وهذا يعني أن القرآن الكريم يمنع اقتحام المنازل بغير إذن، سواء كان ذلك فعليًا أو معنويًا مثل التطفل على حياة الناس أو أسرارهم دون رضاهم، والآية تُعزز مبدأ الوضوح والشفافية في العلاقات والتعاملات الاجتماعية، وفي عصر التكنولوجيا، يُمكن إسقاط هذه الهداية على ضرورة احترام القوانين والإجراءات عند التعامل مع معلومات الأشخاص، كأن تكون طرق الحصول على البيانات مشروعة وقانونية، ويُمنع التسلل إلى الهواتف أو حسابات الأفراد على الإنترنت دون إذنه، فهذا نوع من الدخول بغير باب مشروع.

٤- الستر وحفظ الأسرار الشخصية.

من يتأمل أحكام القذف في القرآن الكريم، وتغليظ القرآن بالعقوبة على القاذفين يجد أن أحكام القذف في القرآن الكريم تضع إطارًا صارمًا لحماية الأعراض والخصوصيات الشخصية، فهذه التشريعات تحث على

الستر، والتريث قبل نشر الأخبار، وضرورة وجود الأدلة القطعية عند الحديث عن أمور تمس كرامة الآخرين، وتطبيق هذه الأحكام في الحياة المعاصرة يشمل: الامتناع عن نشر الإشاعات أو الاتهامات دون دليل، والالتزام بأخلاقيات الإعلام في حماية الخصوصيات، وضمان احترام كرامة الإنسان.

والرسالة التي يمكن استنباطها من أحكام القذف هي: أن الإسلام يعتبر الخصوصية والأعراض من المقدسات، وأي انتهاك لها دون دليل يُعد ذنباً عظيماً يوجب العقوبة.

ولو تأملنا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، نجد أن هذه الآية تحرم رمي الآخرين - وخاصة المحصنات - بتهم دون دليل قاطع (أربعة شهود)، وتفرض عقوبة شديدة على من يفعل ذلك. وتشريع الجلد ورفض الشهادة يُظهر عناية الإسلام بحماية الخصوصية والأعراض من المساس بها أو نشر ما يُسيء دون بينة واضحة، ويفهم من الآية أن الأصل هو الستر، وليس نشر ما يتعلق بالآخرين من أمور، سواء كانت حقيقة أو تهمة باطلة. وفي عصرنا الراهن في الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، يُمنع نشر ادعاءات أو شائعات حول حياة الأفراد الشخصية، وخاصة الأمور الأخلاقية، دون وجود دليل شرعي وقانوني، والتشهير الإلكتروني أو نشر الفضائح الشخصية يخالف هذه الهداية القرآنية.

وإذا توقفنا أمام قصة الإفك في سورة النور عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى

كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ [النور: ١١]، نلاحظ كيف انتقد القرآن بشدة نشر هذه التهمة دون التحقق، وعدّها إفكاً عظيماً، وأمر بالستر والابتعاد عن نقل الأخبار المسيئة دون دليل، والقصة تُعلمنا التريث وعدم الانجرار خلف الشائعات التي تمس الأعراس، وتُبرز أهمية التحري قبل الكلام عن خصوصيات الآخرين.

والإسلام يُلزم الأفراد والمجتمعات بعدم الإساءة أو الخوض في أمور تمس حياة الناس الخاصة، سواء كانت صحيحة أم لا، ولا يكتفي القرآن الكريم بالوعيد الآخروي في موضوع حماية خصوصية الناس وأعراضهم، ولكن وضع ضمانات تشريعية لردع كل من تسول له نفسه هتك أعراض الآخرين وخصوصياتهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور: ١٣] وحماية الخصوصية في القرآن الكريم لا تعني فقط عدم نشر الأسرار، بل أيضاً عدم سماع الإشاعات أو نقلها دون تحقق، ويُستفاد من هذه الهداية القرآنية وجوب الامتناع عن مشاركة الأخبار غير المؤكدة التي تمس حياة الأفراد.

٥- التوجيه القرآني في التعامل مع شائعات هتك الأعراض.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦]، فالآية الكريمة تأمر المسلمين بالتوقف عن نشر أو تداول الكلام المسيء عندما يسمعون، والامتناع عن المشاركة في البهتان الذي يمس أعراض الناس، ويفهم من الآية أن المسلم مسؤول عن الكلمة التي ينطق بها، وخاصة ما يتعلق بحياة الآخرين.

وفي الإعلام أو الحياة اليومية، نستفيد من هذه الهداية القرآنية الامتناع عن نشر الأخبار المسيئة حتى مع سماعها، فالسماع ليس دليلاً كافياً على صحة الكلام.

والإسلام يحث على ستر عيوب الناس وأخطائهم، ويعتبر إفشاء أسرارهم أو فضح أخطائهم انتهاكاً للخصوصية؛ لأن نشر عيوب الناس أو أسرارهم يؤدي إلى إهانتهم أو الإضرار بسمعتهم، وهو مما حرمه الإسلام، وفي الإعلام، يُمنع نشر أخبار أو معلومات تتعلق بالحياة الخاصة للأفراد إذا لم تكن ذات علاقة بالمصلحة العامة.

٦- حماية خصوصية العلاقات الأسرية.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

يرشدنا القرآن الكريم إلى الحفاظ على خصوصية العلاقات الأسرية حتى في حالة الخلافات لا ينبغي نسيان المعروف الذي حصل بينهما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وكشف الأسرار الزوجية يندرج في الخيانة التي لا يجها الله ويحرمها، ويكفي أن ندرك أن إفشاء سر زوجي عائلي كان سبباً لنزول الوحي كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم: ٣]، والآية تشير إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر حديثاً خاصاً إلى إحدى زوجاته (حفصة رضي الله عنها)، مما يُظهر أن الحوار بين الزوجين ينبغي أن يبقى سرّياً ولا يُفشى للآخرين، وإفشاء هذا الحديث يعدّ خروجاً عن أدب العلاقة الزوجية، مما يدل على عناية الإسلام بحماية الخصوصية داخل الأسرة، وعندما أظهر الله إفشاء هذا السر، لم يُفصل النبي صلى الله عليه وسلم

كل ما علم، بل ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾، مما يُبرز مبدأ الترفع عن الخوض في الأمور الحساسة والتأكيد على ستر ما يمكن ستره، الآية تُعلِّمنا أن ما يجري بين الزوجين يجب أن يُحفظ ولا يُفشي، سواء كان سرًا يتعلق بالحياة الزوجية أو بحديث خاص، وإفشاء أسرار الحياة الزوجية، حتى بين أطراف قريبة، يُعدّ تجاوزًا لمبادئ الخصوصية التي يحميها الإسلام.

ونستفيد من الآية في مجال الإعلام ووسائل التواصل: أهمية عدم نشر أو كشف الأسرار الزوجية عبر المنصات الإعلامية، حيث إن التشهير أو الإفشاء يُعد انتهاكًا صارخًا لحقوق الطرف الآخر.

ويُحذر القرآن من العواقب الاجتماعية والنفسية لإفشاء ما كان يجب أن يبقى خاصًا، ولا سيما في عصر تنتشر فيه الممارسات السلبية مثل فضح التفاصيل الشخصية عبر الإنترنت.

والآية تُبرز مبدأ قرآنيًا مهمًا يتمثل في صيانة الأسرار داخل العلاقة الزوجية، وهو جزء من حماية الخصوصية التي يحرص الإسلام على ترسيخها، وهذه الآية تُعلِّمنا أن العلاقة بين الزوجين ينبغي أن تكون قائمة على الثقة المتبادلة، وأن أي حديث خاص بينهما هو أمانة لا يجوز الإخلال بها.

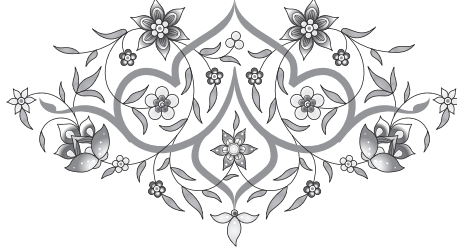
والإسلام يُعزز حماية الخصوصية بين الزوجين وأفراد الأسرة، ويُحرم نشر أي أخبار أو تفاصيل تتعلق بالعلاقات الأسرية التي قد تؤدي إلى الإساءة أو الفضيحة.

ويندرج في ذلك نشر الآباء لصور في مواقع التواصل الاجتماعية في أوضاع تثير السخرية لغرض إضحاك الآخرين والحصول على الاعجاب،

أو نشر خصوصيات عائلية لا مبرر لنشرها حتى لو كانت بالتراضي
وموافقة المعنيين بهذه الخصوصيات.

٧- التوازن بين الشفافية والخصوصية.

نشر الحقائق لا يعني انتهاك الخصوصية، بل يجب أن يكون ذلك
ضمن حدود المصلحة العامة وبما يحقق العدالة دون ظلم، وهذه الهداية
القرآنية ترشدنا إلى ضرورة التزام الإعلاميين والمسؤولين بمبادئ واضحة
في التعامل مع المعلومات الشخصية، ليكون الإعلام وسيلة بناء لا أداة
هدم، وتجنب نشر ما ينتهك خصوصيات الآخرين.



هداية التحصين من لغو إدمان التواصل

والإدمان الرقمي

اللغو في اللغة كما يحدده قاموس لسان العرب، هو: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة حقيقة ولا على نفع ويشمل ذلك التسلية التي تزيد عن حدها، فهناك قدر معقول من التسلية يحتاج إليها الإنسان، وما يحتاج إليه الإنسان من المباحات لمنفعة يقينية لا يندرج في اللغو ولو كان لهوًا، يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، إن اللغو «يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَا كَانَ حَرَامًا أَوْ مَكْرُوهًا أَوْ كَانَ مُبَاحًا، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ بِالْمَرءِ إِلَيْهِ ضَرُورَةً وَحَاجَةً»، ويعني ذلك أن اللغو المفيد لصحة الإنسان الجسدية والنفسية لا يندرج في اللغو حتى يخرج من إطار المنفعة ويتحول إلى إدمان يضر بحياة الإنسان.

وإذا كانت مظاهر الإدمان على التواصل والألعاب والشاشات تندرج في اللغو الفارغ، فإن الهوس بالشهرة الفارغة والمشاهير والتوافه والتفاخر، كل ذلك يندرج في اللغو الذي يتعارض مع هدايات القرآن.

ومع تطور التقنيات الرقمية وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، وإغراءات التطبيقات المختلفة ظهرت إشكالية الإدمان على التسلية واللغو والترفيه المعزز بالصور الفائقة، وأصبح الكثيرون يقضون ساعات طويلة في متابعة المحتوى غير المفيد، الذي لا يقدم أي قيمة فكرية أو أخلاقية، بل قد يكون مصدرًا لإضاعة الوقت وتشتيت الذهن، مما قد يؤدي إلى إهدار الطاقات البشرية في أمور لا تعود بالنفع على الفرد أو المجتمع.

وهذا الموضوع يُعتبر بالغ الأهمية في ظل انتشار التطبيقات والمنصات الرقمية التي تشجع على قضاء ساعات طويلة في أنشطة لا قيمة لها، ومع تحول مشكلة الإدمان على الألعاب والترفيه والتواصل إلى مشكلة حقيقية، أدرجت منظمة الصحة العالمي في عام ٢٠١٨م، «اضطراب الألعاب» ضمن التصنيف الدولي للأمراض (-١١)، معترفةً به كنوع من أنواع الإدمان السلوكي، يُعرّف هذا الاضطراب بأنه نمط من سلوكيات اللعب المستمرة أو المتكررة، سواء كانت ألعاباً رقمية أو فيديو هات، يتميز بفقدان السيطرة على اللعب، وزيادة الأولوية له على حساب الأنشطة اليومية الأخرى، واستمراره أو تصاعده رغم ما يترتب عليه من عواقب سلبية، وهذا الاعتراف يعكس تزايد الوعي بالمخاطر المرتبطة بالاستخدام المفرط للتكنولوجيا والألعاب الإلكترونية، والحاجة إلى استراتيجيات للوقاية والعلاج، ومن المهم أن يكون الأفراد والأسر على دراية بهذه المخاطر، وأن يسعوا لتحقيق توازن صحي في استخدام التكنولوجيا في حياتهم اليومية.

ومن أعراض الإدمان الإلكتروني: الانسحاب من الحياة الاجتماعية والأنشطة اليومية، واستخدام الألعاب والتطبيقات كوسيلة للهروب من المشاكل أو المشاعر السلبية.

والإدمان الإلكتروني في سياق اللغو الرقمي لا يقتصر فقط على الألعاب، بل يمكن أن يشمل أيضاً:

- الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي: قضاء ساعات طويلة في تصفح منصات مثل فيسبوك، إنستغرام، أو إكس أو غيرها.

- الإدمان على المحتوى الترفيهي: مثل مشاهدة مقاطع الفيديو على يوتيوب أو منصات البث المباشر وخصوصاً المحتوى غير الأخلاقي.

-الإدمان على التطبيقات التفاعلية: مثل التطبيقات التي تعتمد على التفاعل المستمر، مثل التيك توك.

وهذه الأنشطة، وإن كانت تبدو غير ضارة في البداية، إلا أنها يمكن أن تتحول إلى إدمان يؤثر سلبًا على حياة الفرد وعلى صحته النفسية والجسدية ويعمل على تعزيز العزلة الاجتماعية، وتراجع إنتاجية الأفراد وتراجع الأداء الأكاديمي أو المهني.

هدايات القرآن في معالجة لغو الإدمان الإلكتروني:

القرآن الكريم هو منهج حياة متكامل، قدم هدايات واضحة حول أهمية الانتقاء الواعي من الوقت والتواصل والمحتوى، والابتعاد عن اللغو والانشغال بما لا ينفع.

وفي العصر الرقمي، يمكن أن يتمثل اللغو في:

-إدمان المحتوى الترفيهي غير الهادف كـ مشاهدة فيديوهات بلا قيمة، للبحث عن الإثارة والمواقف المضحكة ومتابعة التوافه وأخبار المشاهير بدون فائدة حقيقية.

-إدمان التواصل والمحادثات الطويلة التي لا طائل منها والردشة الفارغة، والتعليقات غير المجدية.

-المشاركة في الجدل العقيم والمناكفات غير المثمرة، ومهاترات مواقع التواصل التي تزيد التوتر وتمعق الخلافات.

-متابعة ومشاركة الشائعات والمعلومات المغلوطة دون التثبت أو التحقق لإثارة إعجاب الآخرين.

- إهدار الأوقات الثمينة في هذا اللغو الرقمي إعراض عن هداية الإعراض

القرآنية قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]،

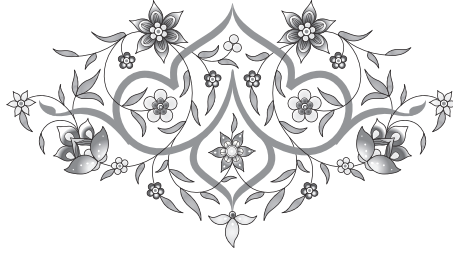
وقد أثنى القرآن على من أتبع هدايته في الإعراض عن اللغو في أكثر موضع ومن ذلك ما جاء في وصف عباد الرحمن قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، والإنسان الراقى في تفكيره لا يتوقف عند كل جدل أو هراء يُطرح في الفضاء العام، والقرآن يرشدنا إلى الانتقاء الواعي بأوقاتنا، بحيث لا نُهدرها فيما لا يفيد.

وهذه الهداية القرآنية ترشدنا إلى ضرورة الاهتمام بتشجيع الاستخدام الذكي للوقت على الإنترنت من خلال متابعة المحتوى المفيد فقط، وإغلاق الإشعارات غير الضرورية، وتقليل التصفح العشوائي لمواقع التواصل الاجتماعي وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون: ١-٣]، يربط القرآن الفلاح والنجاح الدنيوي والأخروي بإدارة الوقت، والتركيز على الأولويات، والابتعاد عن المحتوى غير المفيد.

ومن اللغو الانشغال بالجدال العقيم مع من يجادل بدون علم ولا هدئ ولا كتاب منير قال تعالى: ﴿وَمَنْ التَّاسِ مَنْ يُجَادِلْ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ٨﴾ [الحج: ٨]، والنقاشات غير العلمية التي لا تقوم على الحجة والدليل تؤدي إلى التضليل، وتضيع الوقت دون فائدة.

ويندرج في اللغو محتويات الهمز والنميمة التي تتلاعب بمشاعرنا قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ١١﴾ [القلم: ١٠-١١]، والقرآن يحذرنا من الانسياق وراء الأشخاص الذين يروجون للشائعات والإشاعات، والذين يحرفون الحقائق لإثارة الفتنة، وفي عالم الإعلام الرقمي، هناك من يتعمد نشر أخبار مثيرة للعواطف لجذب الانتباه وزيادة التفاعل، حتى لو كانت أخبارًا كاذبة، ولهذا فإن من الإعراض

عن اللغو عدم التفاعل مع الأخبار المشبوهة أو العناوين المثيرة التي تهدف إلى تضليل الناس، والحرص على استخدام مصادر موثوقة عند البحث عن المعلومات أو التحقق من الأخبار ومشاركة المحتويات.



هداية التحصين من لغو تفاهة الهوس بالمشاهير

« توثين البشر »

يُعد الولوج بالمشاهير والانشغال بتفاصيل حياتهم، إلى حد الهوس والتعلق الزائد، من الظواهر المنتشرة في العصر الرقمي، ومع تزايد وسائل التواصل الاجتماعي أصبح صنّع الشهرة لأشخاص بلا رصيد مفيد، والاهتمام بالمحتويات التافهة أحد أشكال اللغو الذي يضيّع الوقت ويؤثر على القيم الاجتماعية والفكرية، ويقدم القرآن الكريم هداية واضحة حول الانشغال بما لا ينفع، وتوجيه الإنسان إلى ما هو أسمى وأرقى في سلوكياته واهتماماته.

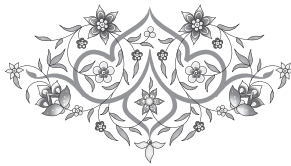
ومن مظاهر الولوج بالشهرة والمحتوى التافه في العصر الرقمي ما يلي:

- متابعة حياة المشاهير بشكل مفرط دون تحقيق أي فائدة تُذكر.
- الهوس بالمظاهر والمقارنات الاجتماعية من خلال متابعة المحتوى الذي يعرض أسلوب حياة مثالي زائف.
- استهلاك محتوى ترفيهي بلا قيمة، مثل الفيديوهات القائمة على التفاهة والسلوكيات غير الهادفة.
- السعي وراء الشهرة بأي وسيلة، حتى لو كان ذلك بنشر المحتوى غير الأخلاقي أو السخيف.
- تحوّل المؤثرين في وسائل التواصل إلى قذوات زائفة، تُحدد القيم والسلوكيات بناءً على معايير سطحية.
- موقف القرآن من ظاهرة توثين المشاهير:
- وقد حذرنا القرآن الكريم من ظاهرة توثين المشاهير ولو كانوا

أنبياء وأحباراً ورهباناً، ويعد هذا التوثيق في القرآن مظهرًا من مظاهر الشرك قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، هذه الآية الكريمة تحمل رسالة قوية حول خطر الانحراف عن التوحيد واتباع البشر بدلًا من اتباع أوامر الله تعالى، ويمكننا استخلاص العديد من الدروس والهدايات من هذه الآية، خاصة في سياق الحديث عن الولع بالشهرة والمشاهير واتباع البشر بدلًا من اتباع الحق.

فهذه الآية تحذرننا من الهوس بالبشر وتوثيقهم، وإذا كان هذا التحذير ينصرف إلى الأنبياء والعلماء والرهبان فهو ينصرف إلى غيرهم من مشاهير عالم التفاهة من باب أولى، فالهوس بالمشاهير مظهر من مظاهر الشرك الذي يقده بعقيدة التوحيد، والولع بالمشاهير: في عصرنا الحالي أحد أشكال «اتخاذ الأرباب من دون الله»، حيث يُصبح المشاهير قدوة لبعض الناس، ويُقلدونهم في كل شيء، حتى في الأمور التي تتعارض مع القيم والأخلاق، والقرآن يحذر من هذا النوع من التعلق، ويُعلمنا أن القدوة الحقيقية هي في اتباع أوامر الله رسول الله ﷺ.

وفي ضوء هدايات القرآن التوحيدية فإننا مطالبون بـ: توعية الناس بمخاطر الهوس بالمشاهير والعلماء والأحبار دون تمييز، وتعليم التفكير النقدي، وبـ: تدريب الأفراد على الاعتزاز بذواتهم والثقة بأنفسهم مع التواضع حتى لا ننتقل من الهوس بالمشاهير إلى الهوس بالذات.



هداية التحصين من لغو الهوس بالذات

مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، تحول العديد من الأشخاص إلى صنّاع محتوى يركزون بشكل مفرط على أنفسهم، مما أدى إلى ظاهرة «الهوس بالذات» أو النرجسية الرقمية.

ويتمثل هذا الهوس في الرغبة المستمرة في جذب الانتباه وإبراز الحياة المثالية، والسعي وراء التفاعل والاعجاب بأي وسيلة.

ويقدم القرآن الكريم هدايات واضحة تحذر من تضخم الأنا والتفاخر والرياء والاستعراض الزائف، مشدداً على أن قيمة الإنسان الحقيقية ليست في صورته أمام الآخرين، بل في أفعاله وقيمه الجوهرية. ومن مظاهر الهوس بالذات في مواقع التواصل الاجتماعي ما يلي:

- الإفراط في نشر الصور والفيديوهات الشخصية بحثاً عن الإعجاب والتفاعل.

- التركيز على عدد المتابعين والتفاعل بدلاً من جودة المحتوى أو فائدته.

- المقارنات الاجتماعية المفرطة والسعي للظهور بمظهر الكمال حتى لو كان ذلك زائفاً.

- الانشغال برأي الآخرين أكثر من التركيز على التطور الشخصي الحقيقي.

- اللجوء إلى التفاخر والاستعراض بدلاً من التواضع والواقعية.

معالجة القرآن لظاهرة الهوس بالذات؟

كما حذرنا القرآن الكريم من الهوس بالمشاهير فقد حذرنا أيضاً

من هوس الانشغال بتضخيم الذات والتفاخر أمام الآخرين؛ لأن القيمة الحقيقية للإنسان ليست في مظهره، بل في تقواه وأخلاقه.

والكثير من مستخدمي مواقع التواصل اليوم يقعون في فخ «تلميع الذات» بدلاً من السعي الحقيقي للارتقاء النفسي والأخلاقي، وقد حذرنا القرآن الكريم من الرياء في قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وأمرنا بعدم تزكية أنفسنا حيث قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

والهدايات القرآنية ترشدنا إلى تعزيز ثقافة التواضع والابتعاد عن التفاخر المبالغ فيه على المنصات الرقمية، والحرص على نشر محتوى يركز على القيم الحقيقية بدلاً من الهوس بالمظهر والصورة المثالية حتى لا نكون من الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦-٧]، وقد توعده القرآن الكريم هذا الصنف من الناس في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

والرياء هو إظهار الأعمال أمام الناس بهدف كسب إعجابهم، وليس طلباً للحق أو الخير.

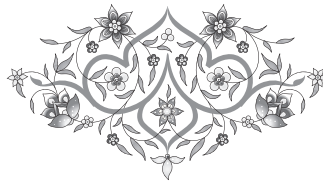
وفي عصر مواقع التواصل، ينشر الكثير من الناس أعمالهم الصالحة فقط ليحصلوا على الثناء، وليس بدافع الخير الحقيقي.

والهداية القرآنية هنا ترشدنا إلى ضرورة التوعية بمخاطر «النفاق الرقمي» الذي يجعل الناس يعيشون حياة زائفة على الإنترنت، وتعزيز ثقافة العمل الصالح بعيداً عن حب الظهور والاستعراض، والهوس

بالمقارنات الاجتماعية واللهث وراء الشهرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، وهذه الآية تحذر من الانبهار بحياة الآخرين والانشغال بالمظاهر بدلاً من الرضا بالقناعة.

ومنصات التواصل تعزز المقارنات الاجتماعية التي تجعل الإنسان يشعر بالنقص، حتى لو كان يعيش حياة كريمة، ومن واقع هذه الهداية القرآنية فإن واجبنا تعليم الأفراد كيفية الفصل بين الواقع والحياة الرقمية المزيفة، وتعزيز قيم القناعة والرضا بالنعم بدلاً من مقارنة الذات بالآخرين باستمرار.

وخلاصة القول: إن القرآن يحث على الإخلاص في العمل، وليس السعي وراء المديح والتقدير الاجتماعي، والعديد من المشاهير اليوم يفعلون أي شيء لجذب الانتباه، حتى لو كان ذلك بإثارة الجدل ولو على حساب دينهم أحياناً، أو نشر محتوى مبتذل فقط لتحقيق الشهرة، والسعي وراء الشهرة من أجل الإعجاب المجتمعي وليس من أجل تقديم قيمة حقيقية، وهذا الهوس يجعل الإنسان عبداً لرأي الناس وما يطلبه المعجبون بدلاً من أن يكون حراً في تحقيق إنسانيته وأهدافه النبيلة. ولا يمنع ذلك من الترويج لقصص نجاح حقيقية تعتمد على الإنجازات وليس على الضجة الإعلامية، فالمحذور هي ثقافة «الفوز بالشهرة بأي وسيلة» وبدون إبداع أو إنجاز حقيقي يفيد الإنسانية.



هدايات التمكين بالكلمة الطيبة

قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، يشار الكثير من الجدل في الأوساط الإعلامية حول أهمية أخلاقيات الإعلام، وتشهد بعض النظريات الفلسفية تراجعاً في تحديد القيم الأخلاقية الثابتة، مع ترويج تيارات ما بعد الحداثة لنسبية القيم والأخلاق، ويفرض ذلك تحديات كثيرة أمام الإعلام ورسالته الإنسانية، ولا سيما في ظل الاستخدامات السلبية الواسعة النطاق للإعلام في الترويج لخطاب الكراهية والتنمر على المستضعفين، والتحيز العنصري والتحرير على العنف وصناعة الصور النمطية.

وفي هذا السياق تأتي أهمية إسناد قيم وأخلاقيات الإعلام بمرجعية متعالية ثابتة يفرضها خالق البشر في كتاب لا ريب فيه يهدي إلى التي هي أقوم، والقرآن الكريم يتضمن منظومة متماسكة من القيم الأخلاقية الثابتة، التي تُرسخ العدل والموضوعية والحرية والمساواة، واحترام حقوق المسلمين وغير المسلمين.

وبذلك فإن هدايات القرآن الإعلامية توفر مرجعية أخلاقية متعالية تستند إلى مبادئ إلهية المصدر؛ لحماية المجتمع من التذبذب القيمي وتؤسس لإعلام مسؤول يعزز التفاهم والاحترام المتبادل، وهداية الكلمة الطيبة والقول الحسن في القرآن الكريم، تدعو في جميع سياقاتها إلى أهمية القول الحسن للناس جميعاً قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، وتجنب السخرية واللمز وضرورة احترام الآخر، وحماية الفئات الضعيفة من البخس المستند على ثقافة الاستضعاف، وتجنب التهويل أو نشر الكراهية.

وهذه المبادئ تعزز دور الإعلام في بناء مجتمعات قائمة على التفاهم والاحترام المتبادل.

معالم الكلمة الطيبة في الهداية القرآنية:

أول ما يتبادر إلى أذهاننا عندما نسمع مصطلح «الكلمة الطيبة» أنها الكلمة اللينة البعيدة عن الغلظة، وما يندرج في جبر الخاطر ونحو ذلك، ولكن المتمعن في معاني الكلمة الطيبة والقول الطيب في القرآن الكريم يجد المعنى أكثر رحابة وسعة، فقد جاء مثال الكلمة الطيبة في الذكر الحكيم في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦]، جاء في التفسير الكبير للإمام الرازي: إن الآية الكريمة وصفت الكلمة الطيبة بعدة صفات تتوفر في الشجرة الطيبة منها:

- ١- طيبة المنظر والصورة والشكل « جمال المبنى».
- ٢- طيبة الرائحة « الأثر الأخلاقي».
- ٣- طيبة الثمرة فهي لذيذ مستطابة « الأثر الحسي والنفسي».
- ٤- طيبة المنفعة. « الأثر الاجتماعي»

ومهما اختلفت التفاسير في حقيقة المراد بالكلمة الطيبة في السياق القرآني فإن المثال القرآني قد عدد خصائص عامة تقاس عليها طيبة الكلمة وفسادها، وهذه الخصائص تشمل جودة المضمون والشكل والأثر الحسي والنفسي والأثر الاجتماعي، والمنفعة المستدام، قال تعالى:

﴿تُؤْتِي أَكْثَرَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، ولا تتوقف هداية القرآن الأخلاقية في الكلمة الطيبة عند هذه الحدود، ولكن أخلاقيات الكلمة الطيبة في القرآن ليست معرضة للتذبذب في أسسها النظرية والفلسفية، ولا تتعرض للمخاطر التي تتعرض لها أخلاقيات الإعلام في فلسفة بعض تيارات ما بعد الحداثة، التي تتبنى مفاهيم نسبية الأخلاق والقيم، فالكلمة الطيبة في القرآن الكريم أصلها ثابت وفرعها في السماء، فهي تستند إلى مرجعية إلهية متعالية يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي راسخ باق آمن الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء، وذلك لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء، فهو وإن كان يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه، أما إذا علم من حاله أنه باق دائم لا يزول ولا ينقضي، فإنه يعظم الفرح بوجوده ويكمل السرور بسبب الفوز به.

وكما أن الكلمة الطيبة الممتعة والنافعة للمجتمع لها أصل ثابت وراسخ، فإن الكلمة الخبيثة ليس لها أصل ديني ولا فلسفي متين، حتى الفلسفات التي تتحدث عن نسبية الأخلاق والقيم، تتمحور حول النفعية الربحية، فإنها لا تتورط بصورة صريحة في تبني الكلمة السيئة ولا تريد أن تتحمل تبعاتها الأخلاقية والإنسانية وكأنها اجتثت من فوق الأرض وما لها من قرار راسخ أو قاعدة منهجية ثابتة.

أنواع هدايات التمكين بالكلمة الطيبة في القرآن الكريم:

أ- هداية القول الصادق: تحتل الكلمة الصادقة مكانة سامية في القرآن الكريم، فقد وصف الله نفسه بصدق القول وصدق الحديث بصيغ التفضيل بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 132]،

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، والقرآن الكريم يفيض بالآيات التي تمجد الصدق والصادقين وتذم الكذب وشهادة الزور، ويمكن أن نلمس بعض الربط بين القول الطيب وقيمة الصدق في سورة الحج حين تحدثت الآية الرابعة والعشرين عن الهداية إلى القول الطيب في قوله تعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، وحثت الآية الثلاثون على اجتناب قول الزور في قوله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وإن كان سياق الحديث عن الحديث عن الهداية إلى القول الطيب يشير إلى المؤمنين في الآخرة، فإن ذلك يؤكد أهمية الاهتداء إلى القول الطيب والصراف الحميد في الدنيا.

ب- هداية القول الحسن: الحُسن يتضمن معنى الجمال ومعنى الجودة فالقول الحسن مقرون بالجمال والإتقان، جمال المعنى وحسن الأسلوب، جمال البعد عن الإساءة، وجمال التناسب مع الموقف الذي يُقال فيه: «ما يسر السمع ويبعث على الراحة والطمأنينة»، ويشمل الكلام الحكيم والمتزن، والمقبول عند الآخرين، بحيث يؤدي إلى تحقيق التأثير الإيجابي بالحكمة والموعظة الحسنة، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

ج- هداية القول المعروف: المعروف في القول مقرون بالعرف المتعارف على قبوله في المجتمع وموافقته للأعراف والقيم الأخلاقية والشرعية، وغالبًا ما يُستخدم في القرآن عند الحديث عن التعاملات المالية والاجتماعية، مثل الإنفاق والوصية ورد الجميل، كما في قوله تعالى: عند الحديث عن اليتامى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥٠].

د- هداية القول السديد: والسداد في القول يعني الإصابة فيه وموافقة الحق والواقع، والكلام السديد يجمع بين الصدق والصواب والحكمة، بحيث يكون مسدداً بسداد التوفيق في تحقيق الخير، ويتسم بالدقة في اختيار الألفاظ، وقوة الحجة والتزام الحق، يقول الحق عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

ه- هداية القول الكريم: الكرم صفة مبالغة في اللين والتلطف والاحترام والتوقير والتكريم، والقرآن الكريم يرشدنا إلى أن هداية هذا القول الكريم مطلوبةٌ عند الحديث مع الوالدين أو كبار السن، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

و- هداية القول اللين: هو الكلام اللين الهادئ البعيد عن التوتر والخطاب الذي يحمل الرقة واللطف، حتى عند توجيه النصح أو معالجة القضايا الحساسة، يُستخدم في الحالات التي يُراد فيها كسب القلوب وتخفيف التوترات، وطالبنا القرآن الكريم باستخدامه في مواجهة الخصوم أو المخالفين لتلين قلوبهم، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

ز- هداية القول البليغ: هو الكلام الذي يصل إلى القلب والعقل، ويؤدي إلى التأثير القوي والإقناع العميق، يُستخدم في المواضع التي يكون فيها إيصال الحقائق والموعظة والتأثير مطلوباً، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

ح- هداية القول الميسور: قال تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، يرشدنا القرآن إلى هداية القول الميسور في سياق

الاعتذار اللطيف والحرص على عدم جرح المشاعر وخاصة في حالة العجز عن تقديم العون والمساعدة.

ط- هداية القول العدل: القول العدل هو الكلام الموضوعي البعيد عن التحيز والتمسك بالإنصاف ويكون مطلوباً في الشهادة والقضاء والأحكام الشرعية.

يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، أي أن على الإنسان أن يكون عادلاً في أقواله حتى لو كان الكلام لصالح قريب أو ضده.

ي- هداية القول الفصل: والقول الفصل هو الكلام الجاد الحاسم الذي يفصل بين الحق والباطل، ويوضح الأمور بشكل واضح لا لبس فيه، وهذا النوع من القول يتسم بالدقة والحكمة، ويستخدم في المواقف التي تحتاج إلى إقناع أو توضيح للحقائق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١٣-١٤].

ك- هداية القول الثقيل: وهذا القول موجه لأصحاب الهمم العالية؛ لأنه قول يحمل رسالة جليلة ومسؤولية عظيمة ومعاني قوية وثابتة، ويستخدم في سياق الوحي والتكليف الإلهي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل: ٥].

ل- هداية قول السوء للظالمين: مع أن الأصل في الهداية القرآنية إلى الطيب من القول هو الكلام اللين والحسن، فإن هناك استثناءات قرآنية تسمح بل توجي بتفضيل الخروج من القول الحسن إلى الإغلاظ في القول ولا يعد فيها الخروج من التلطف والرفق في القول الحسن إلى القول الحشن خروجاً من مفهوم الكلمة الطيبة، ولا يعد في قيم حقوق

الإنسان وحياته تحريضًا مجرمًا ولا إثارةً للكرهية؛ لأن الواقع البشري يؤكد أن الكثير من ممارسي الطغيان والانتهاكات لحقوق الإنسان لا ينفع معهم القول اللين ونصيحة السر بدون مدافعة قوية، وبدون ارتفاع أصوات أصحاب المصلحة والمتضررين من الظلم والفساد وبدون تعرية الباطل وكشف زيفه، وبدون تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية وبدون حملات مناصرة وضغوط شعبية.

وفي هذه الحالة يرشدنا القرآن إلى هداية الجهر بالسوء للظالمين في قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، وهناك دلالة خفية في الآية القرآنية نلمحها في تقييد شرعية الجهر بالسوء من القول بالجهر بالسوء من الفعل، فمن يجاهر بسوء فعله بالظلم ولا يردعه القول اللين، يجوز أن نجهر له بسوء القول، وليس في ذلك كشف لستره ولا تشهير مذموم، وهذا تفسير العلامة أبي بكر الأصبم للآية يقول الأصبم: «لا يَجُوزُ إظهارُ الأحوالِ المَسْتُورَةِ المَكْتُومَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَصِيرُ سَبَبًا لُوقُوعِ النَّاسِ فِي الغَيْبَةِ وُوقُوعِ ذَلِكَ الإنسانِ فِي الرِّيبَةِ، لَكِنَّ مَنْ ظَلِمَ فَيَجُوزُ إظهارُ ظَلَمِهِ بِأَنْ يَذْكَرَ أَنَّهُ سَرِقٌ أَوْ غُصَبٌ».

ويقول الإمام الرازي في تفسير الآية «إنه تعالى لَمَّا هَتَكَ سِتْرَ المُنَافِقِينَ وَفَضَحَهُمْ وَكَانَ هَتَكَ السِّتْرِ عَيْرَ لَائِقٍ بِالرَّحِيمِ الكَرِيمِ، ذَكَرَ تعالى ما يَجْرِي مَجْرَى العُدْرِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ يَعْنِي أَنَّهُ تعالى لا يُحِبُّ إظهارَ الفَضَائِحِ والقَبَائِحِ إِلَّا فِي حَقِّ مَنْ عَظَّمَ صَرْرَهُ وَكَثُرَ مَكْرَهُ وَكَيْدُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَجُوزُ إظهارُ فِضَائِحِهِ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اذْكُرُوا الفَاسِقَ بِمَا فِيهِ كَيْ تَحْذَرَهُ النَّاسُ» وَهُوَ لِأَنَّ المُنَافِقُونَ قَدْ كَانَ كَثُرَ مَكْرَهُمُ

وَكَيْدُهُمْ وَظُلْمُهُمْ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ وَعَظْمَ ضَرَرِهِمْ، فَلِهَذَا الْمَعْنَى ذَكَرَ
اللَّهُ فَضَائِحَهُمْ وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ».

وللإمام الرازي أيضاً تعليق في غاية الأهمية على تكملة الآية قوله
تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، فهو يرى أن هذه التكملة «تَحْذِيرٌ
مِنَ التَّعَدِّيِّ فِي الْجَهْرِ الْمَأْدُونِ فِيهِ، يَعْنِي فَلَيْتَقِ اللَّهَ وَلَا يَقُلْ إِلَّا الْحَقَّ
وَلَا يَقْذِفْ مَسْتُورًا بِسُوءٍ فَإِنَّهُ يَصِيرُ عَاصِيًا لِلَّهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ تَعَالَى سَمِيعٌ
لِمَا يَقُولُهُ عَلِيمٌ بِمَا يُضْمِرُهُ»، وهذا التعليق يوضح معالم هذه الهداية
القرآنية فهي لا تطلق العنان للمظلوم عند الجهر بالسوء على الظالم،
وأن يكشف خصوصيات للظالم لا تتعلق بمظلمته ولا يجاهر بها
الظالم، أو أن يفتری عليه غير الحق أو أن تتحول المجاهرة إلى تحريض
على قرابة الظالم أو قومه وجماعته الذين لا يناصرونه في ظلمه، حتى لا
يتحول المظلوم إلى ظالم.

ويمكننا تحديد أهم الاستثناءات التي أباح لنا القرآن الكريم أن
نجاهر فيها بالسوء بما يلي:

١- كشف جرائم الفساد وطغيان الاستبداد وانتهاكات حقوق الإنسان
في حملات المناصرة.

وفي هذا السياق نتذكر الآية القرآنية قال تعالى: ﴿لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ
بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]،
فالهداية القرآنية ترشدنا في هذه الآية إلى: أن الله لا يجب إشاعة السوء
عن الآخرين ولو كان هذا السوء موجوداً فيهم إلا في حالة إلحاق هذا
السوء الضرر بالآخرين، وفي هذه الحالة فإن السكوت عن الأمور
السيئة لا يكون مرغوباً؛ لأنه يتضمن السكوت على الظلم والتستر

على المجرمين، ومن هذه الهداية القرآنية يتبين لنا: أن القول اللين والحسن لا يندرج فيهما السكوت على جرائم حقوق الإنسان والفساد والاستبداد، وأن من واجب الإعلاميين أن يرفعوا الصوت ضد الظلم وأن يحرصوا على التوثيق والنشر مع مراعاة عدم التورط في نشر ثقافة الكراهية أو التحريض ضد الآخرين بدون دليل.

٢- كشف جرائم العدوان الخارجي على بلاد المسلمين والمحتلين:

أمرنا الله -عز وجل- في القرآن الكريم بالقول الحسن للناس جميعاً باختلاف عقائدهم وأديانهم، وأمرنا بالحرص على الأساليب الحسنة في الدعوة والحوار وعدم مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن والدفع بالتي هي أحسن، ولكن هل يشمل ذلك أنظمة العدوان الخارجي التي استباحت أراضي المسلمين وسفكت دماءهم وهجرتهم قسرياً من أراضيههم وظهرت على إخراجهم؟! الواضح أن الهداية القرآنية تستثني هذا الصنف كما نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فالآية تأمرنا بالحرص على استخدام الحوار البناء مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، مع استثناء أولئك الذين ظلموا أو وقعوا في العدوان، فإذا كان هناك ظلم أو عدوان، فيجب مواجهته بشكل واضح وصريح.

هذه التوجيهات تؤكد على العدل والتفاهم المتبادل في الخطاب الإعلامي، خاصة في القضايا الجدلية.

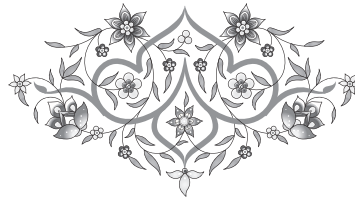
الاستثناءات القرآنية في ضوء مبادئ حقوق الإنسان:

لقد أكدت مبادئ حقوق الإنسان على حق التعبير عن الرأي الذي يُعد جزءاً أساسياً من حقوق الأفراد، ويُتيح للأفراد الحق في كشف

الفساد والظلم، وهو جزء من المسؤولية الاجتماعية للإعلام، ووفقاً لهذه المواثيق، فإن الإعلام لا يُعد فقط وسيلةً لنقل الأخبار، بل أداة لمكافحة الفساد ودعم العدالة، وأما التحريض المرفوض المرتبط بثقافة الكراهية فقد أشارت إليه بعض البنود في مواثيق حقوق الإنسان لمنع التحريض على العنف والكراهية، في أي خطاب من شأنه أن يؤدي إلى استهداف الفئات المستضعفة كالأقليات واللاجئين أو يشجع على العنف ضد أي فئة لمجرد انتساب هذه الفئة إلى دين ما أو عرقية ما أو بسبب ارتكاب أفراد محسوبين على هذه الفئات لجرائم ما، وتجاوز مبدأ المسؤولية الفردية.

وقد أكد القرآن الكريم على المسؤولية الفردية في أكثر من آية حتى يضمن حماية المجتمع من حملات التحريض الهمجية كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، وهذا التوازن في الآيات القرآنية يؤكد أهمية الموازنة بين واجب كشف الفساد وجرائم حقوق الإنسان والظلم والعدوان وبين واجب العدل وعدم التورط في التعميمات الظالمة وحماية المجتمع من خطاب الكراهية.

فالقرآن الكريم ومواثيق حقوق الإنسان يؤكدان على مبدأ المسؤولية الإعلامية في نشر الحقائق والكشف عن الفساد، ولكن في نفس الوقت يحرصان على تجنب التحريض على الكراهية الجماعية وإثارة فتنة أكبر ضرراً على المجتمع.



جدول أنواع الكلمة الطيبة في القرآن الكريم وهداياتها الإعلامية

م	النوع	التعريف	الآية القرآنية
١	القول الصادق	الكلام الذي يطابق الواقع ويعكس الحق.	﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]
٢	القول الحسن	الكلام الجميل الذي يتسم باللطف والجودة.	﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]
٣	القول المعروف	الكلام المقبول وفق العرف الاجتماعي والأخلاقي.	﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥٠]
٤	القول السديد	الكلام المستقيم الذي يتسم بالحكمة والمنطق.	﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]
٥	القول الكريم	الكلام الذي يبالي في التلطف واللين خاصة مع الوالدين وكبار السن.	﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]
٦	القول اللين	الكلام الهادئ الذي يتسم باللطف والرحمة.	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]
٧	القول البليغ	الكلام المؤثر الذي يصل إلى القلب والعقل.	﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]

جدول أنواع الكلمة الطيبة في القرآن الكريم وهداياتها الإعلامية

﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]	الكلام السهل اللين الذي يعكس التفهم والتسامح.	القول الميسور	٨
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]	الكلام العادل الذي يتسم بالإنصاف والموضوعية.	القول العدل	٩
﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ﴾ [الطارق: ١٣]	الكلام الحاسم الذي يفصل بين الحق والباطل.	القول الفصل	١٠
﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥٠]	الكلام الذي يحمل رسالة جليلة ومسؤولية عظيمة.	القول الثقيل	١١
﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨]	مقارعة الظالمين الذين لا تنفع معهم النصيحة	الجهر بقول السوء للظالمين	١٢

خاتمة:

تناولت هذه الدراسة الهدايات القرآنية في المجال الإعلامي، وكيفية القرآن الكريم منهجاً متكاملًا لتوجيه الخطاب الإعلامي وضبطه وفقاً لمعايير أخلاقية قائمة على الصدق والعدل والتثبت، واحترام كرامة الإنسان، وقد تم استعراض عدد من المحاور الأساسية أبرزها:

- أ- هدايات التثبت: وتشمل ثلاث هدايات: (١) هداية التيقن للمرسل.
- (٢) هداية التبين للمستقبل. (٣) هداية التريث للمرسل والمستقبل.

معًا، فالمرسل يحتاج بعد التيقن للتفكير بطريقة وتوقيت نشر الخبر، والمستقبل يحتاج إلى التفكير في كيفية مشاركة المحتوى أو القيام بما يترتب على الرسالة الإعلامية.

وهذه الهدايات تحتاج إليها البشرية اليوم لمعالجة الوباء المعلوماتي والحد من انتشار الإشاعات والأخبار الكاذبة.

ب- هدايات التحصين: والصنف الثاني من الهدايات القرآنية هي هدايات الحماية والتحصين من الكلمة الحبيثة بما في ذلك التحصين والتضليل الإعلامي والدعاية السوداء وخطاب الكراهية والتنمر وحماية الخصوصية.

ج- هدايات التمكين: والقسم الأخير من الهدايات كان حول هدايات التمكين من استخدام الكلمة الطيبة في بناء المجتمعات وتعزيز القيم الأخلاقية.

والقرآن الكريم يقدم أنواعًا مختلفة من القول الطيب، كل منها يتسم بخصائص فريدة تسهم في تحقيق الخير والعدل.

وتناولت الدراسة أيضًا كيفية تطبيق هذه الهدايات القرآنية في المجال الإعلامي، حيث يمكن للإعلام أن يكون أداة قوية لنشر القيم الإيجابية ومواجهة التحديات المعاصرة مثل التضليل الإعلامي وخطاب الكراهية، من خلال الالتزام بالدقة والتحقق من المصادر، وتعزيز الحوار الحضاري، يمكن للإعلام أن يسهم في بناء مجتمع أخلاقي.

توصيات الدراسة:

- توظيف الهدايات القرآنية في توجيه وترشيد برامج التربية الإعلامية، لتعزيز الوعي الإعلامي لدى الأفراد، خاصة في ظل انتشار وسائل التواصل

الاجتماعي والأخبار المضللة، ويمكن تحقيق ذلك من خلال برامج توعوية تعتمد على الهدايات القرآنية.

- توظيف الهدايات القرآنية في تعزيز الالتزام بأخلاقيات الإعلام وأخلاقيات المهنة، والتحلي بالصدق والأمانة في نقل المعلومات، مع تجنب الخطابات التي تعزز الاستقطاب وتهدد السلم الاجتماعي.

- توظيف الهدايات القرآنية في مواجهة خطاب الكراهية والتنمر والتضليل الإعلامي، وتعزيز ثقافة الحوار وقيم التعايش.

- سن تشريعات وقوانين إعلامية مستوحاة من المبادئ القرآنية لضمان الشفافية والعدالة في نقل الأخبار.

- إطلاق مبادرات لمكافحة خطاب الكراهية والتضليل الإعلامي عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية.

- دعم الإعلام المسؤول الذي يسعى إلى نشر الوعي، بالقيم الأخلاقية، والتماسك الاجتماعي بدلاً من الإثارة والتحريض.

ختامًا:

نؤكد أننا في عصر يتسم بانتشار المعلومات السريعة والمتنوعة بحاجة ماسة إلى استلهام الهدايات القرآنية لتوجيه الإعلام والتربية الإعلامية، ويمكن أن تكون هذه الهدايات أساسًا لبناء إعلام مسؤول يعكس قيم الحق والعدل، ويُسهم في تحقيق الخير للفرد والمجتمع، من خلال التمسك بهذه القيم، ويمكن للإعلام أن يكون أداة لتعزيز الوحدة الاجتماعية ونبذ الفرقة، وبناء مجتمع واعي ومتوازن.



الهدايات الاقتصادية

المنطلق الطيب

منطلق الفاعلية في الحياة

المنطلق التحذيري الأول

المنطلق التحذيري الثاني

السبب العقدي والعملي

المنطلق التدميري

أ. أبو علاء دماج

المنطلق الطيب

للمال والثروة في القرآن الكريم مصدران (المصدر الطيب والمصدر الخبيث)، لقد حددت الآيات أن الحلال الذي أحله الله لهذه الأمة هو الذي ينطلق من منطلق الطيبات، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَجَلٌ لَكُمْ أَلطَّيِّبُتُ﴾ [المائدة: ٤٤]، فما هو مصطلح ﴿أَلطَّيِّبُتُ﴾ في التعبير القرآني؟ هل هو تعبير عن المصدر الوحيد للرزق المشروع وللثروة المشروعة في الإسلام فقط أم أنه تعبير عن منهج أوسع من ذلك؟

وصحيح أن ﴿أَلطَّيِّبُتُ﴾ أو (الطيب) هو تحديد لمصدر الرزق والثروة المشروعة في القرآن الكريم، إلا أنك حين تبحث عن مصطلح ﴿أَلطَّيِّبُتُ﴾ في القرآن الكريم ستجد عدداً من الحقائق منها:

أولاً: أن ﴿أَلطَّيِّبُتُ﴾ مفهوم ومنهجية من مناهج القرآن الكريم له فاعلية قوية ومؤثرة على كل جوانب الحياة الأخرى، هذه المنهجية منهجية الطيبات.

وقد قسمت كل المناهج والمفاهيم الأخرى إلى قسمين؛ حتى سميتها المنهجية القاسمة أو المفهوم القاسم، فهي على النحو التالي:

١- تقسم المناهج العقائدية والفكرية إلى قسمين:

القسم الأول: (المنهج والعقيدة والسياسة الخبيثة).

القسم الثاني: (المنهج والعقيدة والسياسة الطيبة).

الأمثلة:

الأول: المنهج والمعتقد الطيب يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا

فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وَهِيَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

الثاني: المنهج والمعتقد الخبيث، يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ﴿٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وهي بقية العقائد.

٢- وتقسم البلدان والأرض إلى قسمين: البلد الطيب والبلد الخبيث.

الأول: البلد الطيب يقول تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ وَيُؤْتِي رِيبَهُ﴾ [الأعراف: ٥٨]

الثاني: البلد الخبيث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [الأعراف: ٥٨].

٣- ويقسم الناس إلى قسمين: الناس الخبيثاء والطيبون، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَا كِنَّ اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٩﴾ [آل عمران: ١٧٩].

٤- ويقسم المال إلى قسمين: المال الخبيث والمال الطيب.

قال تعالى: ﴿وَعَاثُوا أَلْيَتِي أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢﴾ [النساء: ٢]، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿٢٧﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٥- وتقسم الأسرة إلى قسمين: الأسرة الطيبة والأسرة الخبيثة.

قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

بل إنها تقسم النساء إلى قسمين: المرأة الخبيثة، والمرأة الطيبة، ويقسم الرجال كذلك إلى قسمين: الرجل الخبيث، والرجل الطيب، كما تحكي الآية السابقة عن الخبيثات والطيبات، والخبيثون والطيبون.

٦- وتقسم الذرية إلى قسمين: الذرية الطيبة والذرية الخبيثة.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ لِي مِّنْ لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

٧- وتقسم الأشجار إلى قسمين طيبة وخبيثة.

قال تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

٨- وتقسم الريح إلى قسمين: طيبة وخبيثة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَٰ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

٩- وتقسم الحياة إلى قسمين: الحياة الطيبة والحياة الخبيثة.

قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ وَحَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

١٠- وتقسم الخاتمة عند الموت إلى قسمين: طيبة وخبيثة.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، ففي سنن ابن ماجه عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الميِّتُ تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، وإذا كان الرجل السوء، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم، وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فلا يفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فيرسل بها من السماء، ثم تصير إلى القبر» سنن ابن ماجه، وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إذا خرجت روح المؤمن تلقاها

مَلَكَانِ فَصَعِدَا بِهَا فَذَكَرَ مِنْ طَيْبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تُعَمِّرِينَهُ؛ فَيُنْطَلِقُ بِهَا إِلَى رَبِّهِ ثُمَّ يُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ. قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ وَذَكَرَ مِنْ تَنَبُّهَا وَذَكَرَ لَعْنًا فَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ: فَيَقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِيظَةً كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى أَنْفِهِ هَكَذَا. صحيح مسلم.

١١- وتقسم الآخرة إلى قسمين:

أولاً: في المصير والنتيجة والمستقر

قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧]، الخبيث يركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون، وأما الطيب فمأواه ﴿وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾.

ثانياً: منهجية الإعجاز في «الطيبات»

وتعالوا لنرى الإعجاز في هذه المنهجية في القرآن الكريم (منهجية الطيبات) فإذا كنا قد بينا أن هذه المنهجية تقسم المعتقدات والأرض والبلدان والنساء والرجال والأسر والناس والشجر والريح والحياة إلى قسمين: القسم الأول الطيب والقسم الثاني الخبيث، فإنها في نفس الوقت توضح أن كل تلك التقسيمات الخاصة المتعلقة بالقسم الطيب، سواء كانت معتقدات طيبة؛ أو أرضاً طيبة، أو نساء طيبات أو رجالاً أو أسراً طيبة، أو ناساً أو شجراً أو حياة؛ كل تلك التقسيمات من النوع الطيب، كلها مربوطة بالرزق ومذكورة إلى جواره في جميع الآيات التي تحدثت عنها.

١- فالعقيدة الطيبة ينتج عنها ومنها الرزق الكثير المبارك والطيب قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، لاحظ قوله تعالى في وصفها إنها: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، وهو تشبيهه يبين أن الكلمة الطيبة وهي (لا إله إلا الله) لها ثمار طيبة مباركة في الدنيا والآخرة، وما الجنة في الآخرة إلا ثمرة من ثمار الإيمان بالكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) وكذلك لها ثمار في الدنيا وهو الرزق الطيب المبارك والحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [الحل: ٩٧].

٢- وكذلك الأسرة الطيبة المكونة من المرأة الطيبة والرجل الطيب ذكرت مقرونة في القرآن الكريم الى جوار الرزق الطيب، لهم مغفرة، ورزق كريم، قال تعالى: ﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [النور: ٢٦]، أي في الدنيا والآخرة، والمغفرة والرزق الكريم ليسا في الآخرة فقط بل يعني أن لهم المغفرة والرزق الكريم في الدنيا يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وهي تعني أيضاً أن الأسرة الخبيثة رزقها لا يأتي إلا نكدًا.

٣- والبلد الطيب ذكر في القرآن الكريم مقرونًا بالرزق الطيب السهل الكثير المبارك، قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ وَبِإِذْنِ رَبِّهِ ط﴾ [الأعراف: ٥٨]، يخرج نباته بيسر وسهولة وبكثرة وبيبارك الله

فيه ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِي حَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ
فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ
وَأَشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

٣- الذرية الطيبة إلى جوار الرزق الطيب، وفي هذا يقول تعالى:
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، قوله تعالى: ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ بأن
يهب له ذرية طيبة، لم يدع زكريا بذلك إلا عندما رأى العلاقة بين
الذرية الطيبة والرزق، عندما رأى أثر الذرية الطيبة يتجلى في كيفية
رزقها الذي تحصل عليه بطريقة إعجازية غير معتادة يكاد يراها
الكثير من الناس مستحيلة، قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا
الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أُنَى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ
مِن عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]،
وهذا الموقف سنغوص في أعماقه ونستخرج منه جواهر ولائى في وقت
لاحق إن شاء الله.

٤- التمثيل بالشجرة الطيبة إلى جوار الرزق الكثير والمستمر في قوله
تعالى: ﴿تُوْتِي أ كُلَّهَا كُلَّ حِينٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا
ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

٥- الحياة الطيبة إلى جوار الأجر الحسن والأجر هو الرزق والثلث.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

٦- الطيب من القول إلى جوار الهداية إلى الصراط الحميد المؤدي إلى

الرزق الحميد، قال تعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، أي يعرفون منازلهم في الجنة من غير دليل يدهم.

٧- التحية الطيبة إلى جوار الرزق والأكل الحلال الطيب.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

٨- الريح الطيبة إلى جوار السير في البحر والبحث عن الأرزاق قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ [يونس: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء: ٦٦]، كل طيب يطيب رزقه، إذا العقيدة الطيبة (لا إله إلا الله) هي مصدر الرزق كله ومنبع البركة كلها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، ويقول تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ﴾ [الطور: ٣٧]، وكما في الحديث قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ) صحيح مسلم، وكذلك البلد الطيب يخرج منه الرزق بسهولة ويسر، والزوج والزوجة، والأسرة الطيبة يسهل رزقها والتحية الطيبة: هي التحية التي لفظها دعاء بالسلام والرحمة والبركة وكلها أبواب للرزق والخير كله، والشجرة الطيبة، هي التي تؤتي ثمرًا ورزقًا كثيرًا لأصحابها، والذرية الطيبة، يسهل الله لها المستحيل من الرزق.

المعنى العام: إن الأنوار الموجودة في تلك الآيات تقول: لما طابت تلك الأمور وجد إلى جوارها الرزق الطيب المبارك.

ماذا نتعلم من الآيات؟

علمتنا الآيات السابقة أن كل شيء يطيب يوجد إلى جواره الرزق والبركة، ومن خلال ما سبق، تعال معي لنعود إلى قوله تعالى: ﴿أَجَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾، والتي تعني الطيبات من الأرزاق والأموال والثروات والنساء والمقتنيات والمأكولات والمشروبات وغيرها، لقد وصفت الآية أن ما أحله الله سبحانه لنا من الأموال والأرزاق والثروة بوصف الطيبات؛ لأن الطيب من الرزق هو رزق فوق الرزق، وهو باب من الخير يفتح باباً آخر، وهو بركة تأتي بالبركات، وهو صحة فوق الصحة، الطيب من الرزق نعمة تجلب نعمة أخرى.

لذلك الزم الطيب من الرزق، وتجنب الخبيث فإن الرزق الخبيث لا يأتيك منه إلا الخبث، ولا يفتح لك إلا باباً آخر من الخبث لا تعلمه، وما كنت تعلمه، فالرزق والمال والثروة الخبيثة لا تجلب لك إلا الشقاء والنكد، فدينار واحد طيب خير لك من ألف دينار ليس بطيب، وزوجة واحدة طيبة خير لك من أربع حسناوات خبيثات، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]، لا مساواة بين الطيب والخبيث في الكثرة والعدد، فالطيب لا يوزن بالعدد والكثرة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

ثالثاً: المحرمات من الأموال والثروات هي خبائث:

والحلال منها هي الطيبات، فما هي الطيبات؟ الطيبات من الأموال هي:

كل مال أصله طيب وتم الحصول عليه بطريقة طيبة فذلك هو الطيب الحلال، والمحرم هو غير الطيب، فما هي المحرمات غير الطيبة؟
المحرمات على أربعة أوجه: وهي على النحو التالي:

١- ما نص الشرع على أنها حرام وهي الواضح خبثها.

٢- ما فيها شبهة في أصلها أو في طريقة الحصول عليها.

٣- ما حرمت بسبب طريقة الحصول عليها.

٤- وما حرمت بسبب الثمن الخبيث.

ونوضحها بالتالي:

أ- ما نص الشرع على أنها حرام، وهي الواضح خبثها، كالربا وأكل مال اليتيم، أو ما حرم من المأكولات والمشروبات والملبوسات كأكل لحم الخنزير والميتة والدم وغير ذلك، وهذا بيان بعضها.

١- الربا خبيث لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم: ٣٩].

٢- السحت السحت خبيث لقوله تعالى: ﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٣].

٣- مال اليتيم: والاستيلاء على مال اليتيم وأكله خبيث، لقوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا أَلْيَتَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

٤- أكل مهر وصدّق المرأة خبيث إلا إذا صار طيبًا، ولا يصير طيبًا إلا إذا أعطته المرأة عن طيب نفس منها، وقوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا أَلْيَسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيًّا﴾ [النساء: ٤].

٥- شرب الخمر خبيث والتجارة به والعمل فيه، لقول رسول الله ﷺ: عن عبد الرحمن بن الحارث رضي الله عنه، أن أباه، قال: سمعت عثمان رضي الله عنه يقول: «اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث» سنن النسائي، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «الخمر أم الخبائث ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة أربعين يومًا، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية» سنن الدارقطني وعن الزهري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال سمعت عثمان يقول اجتنبوا الخمر فإن رسول الله ﷺ سماها أم الخبائث (إسناده حسن).

٦- ومال الغير، ولو كان هذا الغير مشركًا أو يهوديًا أو نصرانيًا أو من أي ملة كان، مثل: مال المشرك، لو أن امرأة مؤمنة هاجرت من بلاد المشركين وكان زوجها مشركًا ففي هجرتها خسارة على زوجها المشرك؛ لأنه فقد زوجته التي تزوجها بماله، قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَعَاقِبَتُهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ

وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَا أَنْفَقُوا
 ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [المتحنة: ١٠].
 ب- ما فيها شبهة:

مثل الهدايا التي تعطى للحكام والقضاة والوزراء والمسؤولين، فالهدية
 مال حلال بل هي مما أرشدتنا إليه السنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تهادوا تحابوا) رواه البخاري، لكن هذه السنة تكون
 مستحبة بين من لا تربطهم مسؤولية عامة أما حين تكون من
 المتخاصمين للقضاة فهي أقرب إلى الرشوة وحين تكون من الموظفين
 أو من العمال أو من الأغنياء المسؤولين والوزراء والقادة فهي أقرب ما
 تكون للاستغلال.

وفي قصة عامل الصدقة الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم شاهد على ذلك فحين عاد
 بأموال الصدقة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أعطى بعضها وأخذ بعضها وقال هذا لي
 فسأله النبي صلى الله عليه وسلم من أين لك هذا؟ فقال الرجل هذا أهدي لي؛ فقام
 النبي صلى الله عليه وسلم وخطب في الناس وقال نبعث أحدكم على الصدقة فيعود
 إلينا ويقول: هذا لكم وهذا أهدي لي فهلا قعد في بيته أكان أحدهم
 سيهديه شيئاً؟ ثم قال خذوها منه كلها، وكل مال تم اكتسابه بطريقة
 فيها شبهة فهو مال غير طيب مثل: أن تأخذ مالاً من أحد وهو غير
 راضية بها نفسه لقوله صلى الله عليه وسلم عن أبي حرة الرقاشي رضي الله عنه، عن عمه «لا يحل
 مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه» وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه،
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحلن أحد ماشية أحد بغير إذنه، أيحب
 أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانتة فينتشل طعامه؟ وإنما تخزن لهم
 ضروع مواشيهم أطعمتهم فلا يحلن أحد ماشية أحد إلا بإذنه» سنن أبي داود.
 ويدخل في ذلك كل مال كان مصدره غير الحلال البين حله.

ج- ما تحرم بسبب الطريقة المحرمة:

أخذ أموال الناس بطرق باطلة مثل: القمار والخداع وبيع الغرر، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ [التوبة: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٨] وقوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ [النساء: ١٦١].

فقوله: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ هذا ما نص عليه الشرع وهو واضح التحريم، وقوله ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ﴾ وهذا هو المقصود بالطرق الباطلة.

د- ما تحرم بسبب الثمن المدفوع:

كالذي يكون ثمنها تحريف الدين والشريعة، مثل أبحار اليهود والنصارى الذين افتوا بغير ما أنزل الله، اشتروا الدنيا بالآخرة، وكتبوا ما أنزل الله، بيع الفتوى الدينية على ما يشتهي الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ [البقرة: ١٧٤]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧].

تنبيه:

الاسترزاق بالدين:

فقد كان السلف رضي الله عنهم لا يأكلون بدينهم ومن ذلك:

التابعي الجليل عبد الله بن محيريز لما دخل دكاناً يريد أن يشتري ثوباً، فقال رجل يعرفه لصاحب الدكان: هذا ابن محيريز فقيها وعابدنا، فأحسن بيعه! فغضب ابن محيريز، وألقى الثوب من يده وقال: إنما نشترى بأموالنا ولا نشترى بديننا!

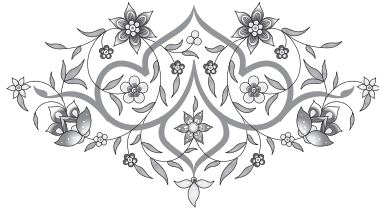
ومنه قول ابن كثير رضي الله عنه: كان أبو عبد الله الأصبهاني لا يشتري خبزه من خباز واحد، ولا بقله من بقال واحد، وكان لا يشتري إلا ممن لا يعرفه! وكان يقول: أخشى أن يُجابوني فأكون ممن يعيش بدينه!
ومنه قول الشافعي: إن أترزق بالرقص خير لي من أن أترزق بالدين.

رابعاً: منهجية الطيبات منهجية تشمل الدنيا والآخرة:

ومضة

لما التزم الكفار والمنافقون «منهجية الخبث» وسخروا حياتهم وأموالهم في الحرب على «المنهج الطيب» حصدوا خسارة أموالهم وخسارة المعركة في الدنيا، ولم يحصدوا إلا المصير الخبيث في الآخرة جزاء وفاقاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ [الأنفال: ٣٦-٣٧].

وفي المقابل لما التزم المؤمنون المنهج الطيب في الدنيا، المنهج الطيب العقائدي والاجتماعي والاقتصادي كانت النتيجة: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، وكلمة التقوى هي: الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) التي ضرب لها المثل، في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ لما التزم بها المؤمنون وكانوا أحق بها وأهلها كان الأجر والثمن والجزاء يوم القيامة، هو المأوى الطيب والمسكن الطيبة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾، وقال تعالى عن أرزاق الآخرة: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].



منطلق الفاعلية في الحياة

ونعني به: امتلاك مصادر الرزق والثروة وهو الطريق الصحيح للفاعلية في الحياة.

ويمكننا أن نتوصل لهذا من نور آية قال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ [الحل: ٧٥]، ظهر في بعض الموروث الثقافي الإسلامي تأصيلات تدعو المسلم للابتعاد عن جمع المال وامتلاك الثروة كونها تعلق العبد بالدنيا وتبعده عن ربه، مع أن الإنسان مفطور على التملك؛ فالطفل ذو الشهور المعدودة لا يقبل من أخيه الأكبر أن يقترب من ثدي أمه؛ لأنه يعتبره ملكاً له، فجمع المال وامتلاكه فطرة مغروسة في الإنسان، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، وبسبب ذلك صار المسلم يتجاذب بين تيارين قوين التيار الفطري الذي يدعو لجمع المال كي يعيش بأمان في جانبه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وبين التيار الثقافي الموروث الذي يدعو للزهد في الدنيا وعلى رأسها جمع الأموال وتحصيل الثروات، ومن هنا ظهرت الشخصية الإسلامية المتدينة في العصور الوسطى ظهرت مضطربة مشوشة وظهرت معها جماعات وعباد وكيانات تتحدث باسم الدين وهي عالية على غيرها، خاملة في حراكها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، كل ذلك أدى إلى انفصام في الشخصية الإسلامية بين الشخصية المتدينة والشخصية الاقتصادية، وبين الشخصية المتدينة والشخصية السياسية...!!! وهي الأمور الذي ما زلنا نعاني اضطرابها حتى زماننا هذا، فهل التأصيل الذي يدعو المسلم للزهد في الدنيا والابتعاد

عن جمع الأموال والثروات صحيح أم خاطئ؟!

تعالوا لنرى ذلك من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية:

أ- قضية امتلاك الأرزاق والتصرف في الأموال في التمثيل بين القدرة والعجز في سورة النحل.

يقول تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ [النحل: ٧٥]، آية مكونة من كلمات معدودة ضربها الله مثلاً للناس أو ضرب فيها مثالا للناس؛ لبيان لهم أن هناك فرقا بين اثنين من الناس، وبأنه لا يمكن أن نساويهما ببعضهما؛ فهناك فرق كبير بينهما، هذا الفرق بينهما: أن الأول ليس له فاعلية في الحياة وليس له تأثير، والآخر له فاعلية وتأثير في الأرض والحياة والناس، فما السبب في عجز الأول وقدرة الثاني؟ تعالوا لنطوف في تلك الآية والسياق الذي وردت فيه. **طيافة في الآيات:**

أولاً: من يمتلك المال والثروات فهو يمتلك القدرة على التأثير والفاعلية في الحياة ومن لا فلا.

فقد بدأت الآيات بالحديث عن من يملك الرزق في السماوات والأرض وأن الأصل في المعبود أن يكون هو من يملك الرزق لقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]، ويعبد المشركون أصناماً لا تملك أن تعطيهن شيئاً من الرزق من السماء كالمطر، ولا من الأرض كالزراع؛ فهم لا يملكون شيئاً، ولا يتأتى منهم أن يملكوه؛ لأنهم لا يقدر، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]،

أي فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل له ولا شبه (الطبري).
ثانيًا: المقارنة بين عبد وحر له مال في التأثير في إعمار الأرض بالخير.

فقد تحدثت الآية التي بعدها بأن هناك فارقاً كبيراً بين عبد مملوك عاجز عن صنع شيء للحياة، وبين رجل آخر حر رزقه الله رزقا دوره في التصرف في المال في صنع شيء للحياة، فقال تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥]، ضرب الله مثلا رجلاً مملوكاً عاجزاً عن التصرف لا يملك شيئاً ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، وضرب مثلاً رجلاً آخر حرّاً له مال حلال رزقه الله إياه؛ فهو يملك التصرف فيه، ويعطي منه في الخفاء والعلن، فهل يقول عاقل بالتساوي بين الرجلين؟ هل يستوون؟ لا يستوون، من لا يملك حرّيته ولا يملك مالاً لا يستوي مع الحر الذي يملك المال وينفقه في إعمار الحياة.

ما نستفيدة من الآية في المثال الأول يمكننا تلخيصه بالآتي:

١- لقد ضرب الله -عز وجل- مثلاً من الحقائق الملموسة التي نفهمها نحن في الحياة ويفهمها جميع البشر وهو «أن من لا يملك المال ومن لا يقدر على الإنفاق فهو العاجز عن صنع تأثير في الحياة؛ فالعبد المملوك لسيدته لا يقدر على شيء ولو كان مؤمناً؛ لأنه مملوك لغيره لا يقدر أن ينفق؛ لأنه وماله وولده ملك لسيدته، والمؤمن الحر الذي لديه مال ينفق منه سرّاً وجهراً في أعمال الخير ونشر الفضيلة وإقامة الحق في الأرض، ومن كانت صفته هكذا فهو من يمتلك الفاعلية والتأثير في الحياة.

وبذلك لا يستوي المؤمن الأول مع هذا الأخير في التأثير والفاعلية، يقول تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥]،

فختم الآية بالحمد وتقدير أن أكثرهم لا يعلمون هذه الفروق في أثرها في الفاعلية والقدرة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، في تفسير قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ قال نزلت في رجل من قريش وعبده.

٢- الحقيقة التي نتوصل بها لعكس حقيقة المثال هي:

الحقيقة الموجودة في المثال لا تحتاج الى دليل؛ لأنها هي الحقيقة الدالة على ما مائلها في المضمون، ونؤكد هنا على أن أي مثال يضربه المتحدث أيا كان هذا المتحدث، إنما يريد به أن يوضح الشيء غير الواضح للمستمع بمثال واضح يفهمه السامع، وهو ما يوضح أن المثال المضروب في هذه الآيات والذي يفهمه الناس جميعاً «أن أي إنسان ليس لديه حرية ولا رزق ولا يملك مالا ينفق منه، فهو عاجز على أن يؤثر في الحياة»، ذكر الله - عز وجل - هذه الحقيقة من خلال هذا المثال ليوضح للمشركين أن آلهتهم التي يعبدونها عاجزة عن التأثير في الحياة وأن الله - عز وجل - وحده من يملك خزائن السماوات والأرض ويبيده الأرزاق كلها وأنه على كل شيء قدير، فإذا كان الله - عز وجل - قد ضرب المثال على القدرة والعجز بالإنسان الحر الذي ينفق على الآخرين وجعله المثال الأعلى والأسمى للناس وبأنه لا يستوي مع العاجز الذي لا يملك شيئاً؛ فكيف يرضى لعباده المؤمنين أن يكونوا من النوع العاجز في الحياة؟ كيف يرضى لهم أن يكونوا عكس هذا المثل الأسمى والأعلى المعروف الذي يفهمه جميع البشر؟

٣- أن أعظم دليل في التأصيل هو المثال؛ لأن المُمَثَّل به يكون شديد الوضوح في حقيقة القضية المُمَثَّل لأجلها، والمثال لا يحتاج إلى توضيح

ولا إلى إثبات؛ لأنه واضح أشد الوضوح، وحقيقته محل إجماع من كل الأطراف المختلفة ولذلك يصير مثلاً يضرب به للناس في القضايا التي تحمل نفس مفهومه وحقيقته.

فكيف إذا كانت هذه الحقيقة التي يحملها المثال نفسه هي التي ينكرها البعض ويريدون عكسها؟ وقد ضرب الله تلك الحقيقة في مثال للناس في قضية من قضايا الربوبية والألوهية، ضربها الله -عز وجل- في مثال لشدة وضوحها ثم يأتي بعض المسلمين ويقول: إن المؤمن الخامل الذي لا يقدر على شيء العاجز عن التأثير هو المؤمن الحقيقي وإن من أراد أن يكون مؤمناً حقيقياً فعليه أن يتعد عن البحث عن الرزق ويتخلى عن جمع الثروة وأن يعيش حياة الفقر والفاقة، ويقول لنا: إن الإيمان الكامل لا يمكن أن يحصل عليه العبد إلا إذا وقف في الحياة في المكان السلبي الذي يقف فيه العاجزون.

ثالثاً: المقارنة بين حُرَيْن: «الحُرُّ الكُلُّ» و«الحُرُّ الغني».

مقارنة بين الكُلِّ العاجز وبين من يمتلك الحركة والمال (في القدرة على إقامة العدل في الأرض).

والحقيقة التي يؤكدها المثال الثاني: الكُلُّ على الغير عجز ومن يملك أمره ورزقه فهو القادر على إقامة العدل في الأرض، وإقامة العدل هي وظيفة المسلم، يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: ٧٦]، تتحدث الآية عن رجلين ضربهما الله -عز وجل- كمثالين، الكُلُّ الابكم العاجز الغير قادر على نفع نفسه وغيره، أينما توجه لا يأتي

بخير للحياة، والآخر الفاعل القادر على نفع نفسه وغيره الذي أينما توجه جاء بالخير وأقام العدل في الأرض، وورد في أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: والأبكم الذي أينما يوجه لا يأت بخير، ذاك مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان عثمان رضي الله عنه ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل، فقال بعضهم: إنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تعبد من دونه وهو قول مجاهد وقتادة

وقال آخرون: بل كلا المثليين للمؤمن والكافر، وذلك قول يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو كل على مولاه، يقول: وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته من بني أعمامه

الفرق بين الرجلين في الصفات والمهمات:

وضرب الله مثلاً آخر لرجلين أحدهما صفاته:

١- أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم، ﴿أَبْكَمُ﴾.

٢- لا يقدر على منفعة نفسه أو غيره، ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾.

٣- وهو عبء ثقيل على من يلي أمره ويعوله، ﴿وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَانَهُ﴾.

٤- إذا أرسله لأمر يقضيه لا ينجح، ولا يعود عليه بخير ورجل آخر صفاته عكس صفات الرجل الأول فصفاته هذه:

١- سليم الحواس.

٢- يسعى على رزقه بنفسه وليس كلاً على أحد.

٣- قادر على نفع نفسه وغيره.

٤- يأمر بالعدل والإنصاف ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو على طريق واضح لا عوج فيه.

فهل يستوي الرجلان في نظر العقلاء؟ لا يستون، وفي المقابل هذا مؤمن لكنه (أبكم وبلا مال وهو كل على أهله وأقربائه لا يقدر على شيء) وذاك مؤمن آخر (يتكلم ويستخدم كل حواسه، ولديه مال ورزق يصرفه على نفسه وعلى غيره، قائم بالأمر بالعدل والخير ويسير على الصراط المستقيم) فهل يستون؟ لا يستون؛ لأن بينهما فارق كبير في القدرة على الفاعلية والتأثير في الحياة.

ما نستفيده من الآية في المثال الثاني:

من خلال الآية في المثال الثاني ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ ندرك أن الفارق بين الرجلين في جانب الرزق والمال والثروة أن الرجل الأول ﴿كُلٌّ﴾ على غيره وعالة على الآخرين.

وأن الرجل الآخر يمتلك رزقه ويسعى عليه بنفسه وهذه من القضايا التي مكنت الرجل الآخر من القيام بمهمتين:

المهمة الأولى مكنته من منفعة نفسه وغيره، والمهمة الثانية مكنته من القيام بـ «الأمر بالعدل والإنصاف في الحياة».

ولقد قررت الآية أن من قام بهاتين المهمتين فهو على الصراط المستقيم، ومن هنا نصل إلى حقيقة في غاية الأهمية وهي: أن من لا يملك رزقه ومن لا يسعى من أجل بناء جانبه الاقتصادي حتى يستغني عن الناس ويتحرر من الاتكال عليهم فلن يستطيع أن يقوم بأعظم المهمات في

الحياة وهي: أن ينفع نفسه وغيره وأن يأمر بالعدل، ومن فقد القدرة على هاتين المهمتين فقد جانب سيره في الحياة «الصراط المستقيم».

وتفيدنا الآية أيضًا: أن العاجز عن الإنفاق على نفسه وعن امتلاك رزقه وتكوين ثروة ولو صغيرة يعيش بها عزيزًا في الحياة فهو بمقام من تعطلت لسانه وحواسه عن العمل كالأبكم، ومن صار هذا حاله أبكم وكل على غيره فلن يكن لديه القدرة على إقامة العدل في الأرض وإعمار الحياة واصلاحها، ومن لديه القدرة على تشغيل حواسه من نطق وسمع وبصر وكان لديه القدرة على العمل والسعي فعمل وسعى في الأرض حتى امتلك رزقه وجمع له رصيّدًا من المال أغناه عن الناس وأنفق على نفسه وعلى غيره فهو القادر على الأمر بالمعروف وإقامة العدل وبناء جوانب الحياة بالخير والسير في الطريق المستقيم، ومن فقد أحد هاذين العاملين (الحواس والمال) فهو عاجز عن الأمر بالعدل وتغيير الحياة إلى الأفضل ولن تكن خطواته على الصراط المستقيم في الدنيا.

رابعًا: الحقائق التي يؤكدتها المثالان:

١- العبودية معوق خارجي، وفقد الحواس معوق داخلي، وكلاهما يعيقان من قدرة الإنسان.

٢- الآية في المثال الأول جعلت الرزق والمال بمقام الحرية في قدرة الإنسان على التأثير، فمن لا يملك حرّيته ﴿مَمْلُوكًا﴾ ومن لا يملك المال، لا يستطيع أن يكون منفقًا ومؤثرًا في الحياة.

٣- والآية في المثال الثاني جعلت الرزق والمال في مقام الحواس في قدرة الإنسان على التأثير فمن لا يملك القدرة على تحريك حواسه ﴿أَبْكَمُ﴾ ومن يملك المال لا يستطيع أن يأمر بالعدل ويقيمه في الارض.

٤- وفي المثال الأول والثاني تتكرر جملة، قال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ في المثال الأول ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ وفي المثال الثاني ﴿أَبْنَكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾، تلك الجملة تتكرر كما يتكرر ذكر المال في كل مثال، ففي المثال الأول قال تعالى: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، وفي المثال الثاني قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾، أي لا يملك مالا ينفق على نفسه وإنما نفقته على مواليه وأبناء عمومته، إذا «تكرر ذكر القدرة» إلى جوار «تكرار ذكر المال» في المثالين هو تأكيد يؤكد مرتين أن المال هو سبب من أسباب القدرة والتأثير في الحياة.

٥- ضرب الله المثال الأول ليؤكد أن (من لا يملك حرته ومن لا يملك رزقه فلن يقدر على شيء).

٦- ضرب الله المثال الثاني ليؤكد نفس الحقيقة وهي: أن من فقد السيطرة على حواسه ومن فقد مصادر رزقه فلن يقدر على نفع نفسه أو غيره، ولن يستطيع أن يأمر بالعدل وبقيمه في الحياة وسيجانب الصراط المستقيم.

٧- عندما يضرب الله - سبحانه وتعالى - بمثالين ليؤكد نفس الحقيقة فهذا يدعونا إلى أن ندرك أن هذه الحقيقة هي في غاية الأهمية ويجب أن نستوعبها جميعا فإذا أردنا أن تكون لنا فاعلية وأثر في الحياة وعلى واقع الناس وأثر على الأمم الأخرى فعلينا أن نمتلك تلك المؤثرات وأن نستخدمها في بناء الجوانب الإيجابية في الحياة، فإطعام الجائعين في أصقاع الأرض يجب أن يكون من مهمات هذه الأمة، قال تعالى: ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾، وانصاف الأمم المظلومة، قال تعالى: ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وإعمار جوانب الخير

بين الأمم يجب أن تكون هذه الأمة هي السبابة له حتى يكون لها فاعلية وأثر في الحياة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

إن المثاليين في الآيتين يركزان على: إبراز الحقيقة الواضحة للناس جميعاً والتي تقول إن من أهم أسباب امتلاك «القدرة في التأثير في الحياة» هو امتلاك المال وتصريفه في منفعة النفس والغير والاستغناء عن الناس.

خامساً: القرآن الكريم معجزة متجددة وتفسيره يتجدد.

سيظل القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة وسيظل العلماء وأهل النظر في كل جيل ينهلون من معينه، ما فيه شفاء لمشاكلهم وسيجدون فيه مصابيح ونوراً ينير لهم دروب الظلمات التي يعيشون حيرتها ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى سراط مستقيم؛ لأن القرآن الكريم كذلك فهو يتميز على بقية الكتب بأن فيه أوجه عديدة للنظر واستخراج الأحكام التي يحتاجها كل عصر مع أنه ثابت في أصوله وقواعده.

نظرة للآيات من زاوية أخرى:

وفي قضية الرزق والمال والثروة وما شاب التراث الإسلامي من تأصيل جعل من الفقر والحمول وترك السعي لجلب الرزق مكرمة للمؤمن، فظهرت أجيال تدعي الإيمان وهي عالة على غيرها عاجزة عن مواجهة مشاكل وقضايا الإيمان السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تدور رحي معاركها في واقع الأمة منذ ظهر هذا التأصيل في حياتها.

لذلك لزم علينا أن ننظر إلى الآيات من زاوية أخرى في التأصيل الفقهي لبعض القضايا ومن ذلك -مثلاً- هذه الآيات التي نستشهد

بها في قضية التوحيد في عجز الأصنام والأوثان وغيرها من الآلهة التي يتخذها المشركون مقارنة بقدرة الله الواحد الأحد القادر على كل شيء، وأنه هو من يستحق العبادة وحده - سبحانه وتعالى - بينما نغفل أن الله - عز وجل - ضرب لتوضيح الفرق بين تلك الآلهة وبينه - سبحانه وتعالى - بالإنسان العاجز والإنسان القادر، وأن ذلك الإنسان القادر هو من يملك المال ويقدر على التصرف فيه، ثم نغفل أن نجعل من هذا المثال نصاً ودليلاً مؤكداً على أهمية العمل لامتلاك المصادر المتعددة من الأرزاق والثروات من قبل العبد المؤمن حتى يكون له أثر في الحياة وفي إعمار جوانب الخير فيها، والأعجب من ذلك أن يأتي من يؤصل للمسلمين أن يعيشوا حياة الفقراء ويقدم في الأفضلية الفقر على الغنى ويرشد المؤمن أن يعيش فقيراً.

الخلاصة التي تؤكدتها الآيات:

أن الحرية وامتلاك المال هما أساس الفاعلية في حياة جميع البشر بمختلف معتقداتهم.

أن امتلاك المال هو بمقام امتلاك الحرية، فالعبودية مع امتلاك المال لا تجعل الإنسان يصنع تأثيراً في الحياة؛ لأن العبد مهما ملك يظل عبداً لسيده فلا يتصرف إلا بما أراد سيده.

وكذلك الحرية بلا مال لا تجعل للإنسان تأثيراً في إعمار الأرض بالإنفاق لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان الرزق والمال هما المحركان للفاعلية في الحياة، فإن من لا يتحرك لامتلاك الرزق والثروة فهو يحكم على نفسه بموت الفاعلية، وإن عدم السعي للحصول على المال هو الرضى بالجلوس في الزاوية السلبية من الحياة، ولا يجوز للمسلم أن يجلس في

المكان السلبي، وبذلك فإن كل النظريات والأقوال التي تدعو المسلم إلى أن يعيش حياة الفقر ويرضى بالمسكنة وأن يترك العمل ويتخلى عن امتلاك المال وجمع الثروة لا أساس لها من الصحة، ومنها:

(أ) المن على الرسول ﷺ بالغنى:

امتَنَ اللهُ - عز وجل - على نبيه بأن وجده عائلاً أي فقيراً فأغناه، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨].

(ب) قدم الإنفاق على القتال وهو ما يعني أن له الأولوية في الحياة وعند الله في الأجر؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، فقوله: ﴿وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾: وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ تفيد أن الغني يقدر على القتال والإنفاق في سبيل الله ويستطيع أن يصل بماله درجة المقاتل وهو قاعد في بيته لقول رسول الله ﷺ عن زيد بن خالد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا» صحيح البخاري، والفقير يقدر على القتال لكنه لا يقدر على الإنفاق في سبيل الله.

(د) أهمية امتلاك المال وذلك على مستويات مختلفة:

أولاً: على مستوى الفرد:

الاحتياج للمال في العصر الحديث أشد من الاحتياج إليه في العصور الماضية والسبب؛ أن الوضع تغير فأصبحت الحياة كلها مربوطة بالمال

(المنقود) وبتداوله أما قديمًا فكان بمقدور الإنسان أن يعيش حياته كلها دون أن يحتاج للمال المنقود فكان يأكل من الأرض والطبيعة ويشرب منها ويركب حماره أو ناقته ويتداوى بالأعشاب ويتعلم بالكتاتيب والمساجد بالمجان، ويعيش في بيته الذي يبنيه بما توفر لديه من مواد البناء في الطبيعة، إما بأحجار وأخشاب، أو بالتراب، أو يصنع له عششاً من النخيل والنبات، أما العصر الحديث فقد صارت تلك الحوائج كلها مربوطة بامتلاك المال وبمقداره عند الفرد، فالأكل والطعام لا يمكن الحصول عليه إلا بالمال من الأسواق والماء أصبح مادة تشتري بالمال ووسيلة التنقل أصبحت عملية لا تتم إلا عن طريق امتلاك المال سواء كانت وسائل مواصلات خاصة أو عامة، والتداوي أصبح عن طريق مؤسسات طبية لا يمكن الدخول إليها إلا لمن امتلك المال، وكذلك التعليم أصبح مؤسسات تحتاج للمال وكذلك بناء البيوت مربوط بمدى ما تملكه من المال.

كل ذلك يتحتم على المسلم أن يمتلك المال حتى يستطيع أن ينفق على نفسه وعلى أسرته وحتى لا يجد نفسه وأسرته على هامش الحياة.

ثانيًا: على مستوى الدولة:

الفقر عبئ على الدولة يؤخرها بين الأمم فكلما زادت نسبة الفقر في الدولة كلما زادت أعباءها الداخلية وضعفت في قرارها الخارجي.

آثار الفقر على المؤمن في الدنيا كمايلي:

أ- الاحتياج إلى الناس فيه من المذلة ما فيه والعز عكس الذل ولذلك قال ﷺ: «واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن

الناس» الجامع الصحيح.

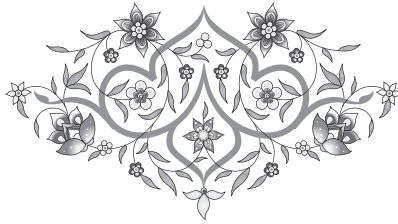
ب-الفقر سبب في تعثر المؤمن من تحقيق الأهداف الكبيرة التي يحتاج تحقيقها إلى المال فكم من الشباب لديهم مؤهلات عقلية وشخصية قعدوا في بيوتهم ولم يستطيعوا مواصلة التعليم أو تحقيق أهدافهم الأخرى بسبب فقرهم؟
آثار الفقر على المؤمن في الآخرة كمايلي:

أ-الفقر قرين الكفر استعاذ منه النبي ﷺ في دعائه فقال: عن أبي بكر، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ» سنن أبي داود.

ب-الفقر يحرم المؤمن من العمل والتسابق في أعظم باب من أبواب العمل الصالح الذي يرفع المؤمن في الدرجات العلى في الجنة يجرمه من باب الإنفاق في سبيل الله وهو الباب الذي استحوذ عليه المؤمنون- الأغنياء- المنفقون في سبيل الله.

ومضة

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله» صحيح البخاري.



المنطلق التحذيري الأول

الابتعاد عن منهجية الإسراف

وهذا التحذير نقتبسه من نور قوله تعالى: ﴿يَبْنَىْ ءَآدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

إنها آية مكونة من كلمات معدودة ترسم لهذه الأمة معالم الإنفاق في الجانب الاقتصادي الذي هو عمود الحركة في الأرض وركن الفاعلية فيها وهو ما تحدثنا عنه سابقاً في المنطلق الثاني "منطلق الفاعلية".

وفي هذه الآية نجد نوراً خاصاً، إنه النور التحذيري الأول الذي سنقف عنده في هذا المنطلق، هذا النور الموجود في هذه الآية سنجد أنه نوراً انطلق منذ بداية ظهور آدم ﷺ في الأرض وكأنه ولد مع أول ظهور لذرية آدم ﷺ؛ لذلك توجهت الآية في أول كلمة منها بـ(يا) النداء الموجه لبني آدم ﷺ ومن سيأتي من بعدهم من ذريتهم، تناديهم (يا بني آدم... يا بني آدم.. يا بني آدم) وحين تسمع هذا النداء تشعر أنه يناديك أنت وينادي كل إنسان، ثم يجبرك هذا النداء على أن تركز بسمعك وقلبك على ما يريد المنادي منك ومن بني جنسك، وهنا يأتيك الأمر المريح بقوله ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فتشعر أن هناك توجيهاً يريد منك أن تتزين وكأنه أمر تؤمر به مع كل صلاة وفي كل مسجد والزينة أمر محبوب للنفس وللناظر، وما دام أنها مطلوبة مع كل عبادة فهي مطلوبة في كل حياة المسلم وأن تتزين خمس مرات في اليوم فذلك يعني أن الزينة لن تفارقك طيلة اليوم.

ثم تسمع التوجيه الثاني بعد الأمر بالزينة ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، وهنا

تشعر بأن الأمر لا يعني الحل فقط بل الوجوب، والأكل والشرب هي الحاجة التي لا غنى عنها وفيها تطوف النفس كل يوم بل كل ساعة؛ فإذا ما سمعت إلى بقية التوجيه الذي جاء به النداء ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ إنه أمر بصيغة النهي إنه أمر تحذيري، وهنا تتوقف مع هذا الأمر ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فتدرك أن الأمر بالتزين ولبس الجميل والأنيق والجديد والأكل والشرب مما لذ وطاب، كل ذلك ليس بالكيفية والكم الذي تريد ولا بما يتوافق مع مزاجك من البذخ واللهو والإنفاق غير المحسوب، وإنما توقن أن هناك مقداراً للزينة محسوباً بما يحقق الهدف منها ولا يزيد في التكلفة رياءً واحداً، وإلا صرت من المسرفين.

ثم ينتقل بك الخطاب إلى التحذير الأخير المخيف والمخيف جداً ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ يخبرك أن الله سبحانه لا يحب المسرفين «إنه لا يحب المسرفين».

وهنا تدرك أن الإسراف أمر شنيع وأن من صار من المسرفين فإن اسمه يدرج في قائمة «الذين لا يحبهم الله» وهي قائمة تشمل كل من لا يحبهم الله سبحانه من (المستكبرين والكفار والظالمين والمفسدين والمعتدين والمختال الفخور والحائن الأثيم والفرحين بالدنيا والكنوز والقصور).

ثم تستوقفك الآية إلى أن تبحث عن منهجية الإسراف والمسرفين ما دام وأن المسرفين قد دخلوا في تلك القائمة، وهي قائمة تعبر عن مناهج متعددة من مناهج الانحراف.

فكل منهجية من تلك المنهجيات فصلها القرآن الكريم وبين خطوط مسارها في الدنيا ومآلها في الآخرة، فتعالوا لنرى هل الإسراف

هو منهجية متكاملة الخطوط والأبعاد والملامح؟

الإسراف منهجية من مناهج الحياة يشمل جوانب الحياة جميعًا، فهناك الإسراف السياسي وهناك الإسراف الاجتماعي وهناك الإسراف العقائدي وهناك الإسراف الاقتصادي.

(١) الإسراف العقائدي: قال مؤمن آل فرعون عن موسى ﷺ وما جاء به من الدعوة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨] والمعنى إن كان موسى ﷺ كاذبًا في دعواه كما تظنون فهو مسرف في دعواه وكاذب، والمسرف لا يهديه الله، ولا يكون لدعوته قبول في الأرض وكذلك كل من كذَّب دعوة الحق البينة الواضحة فهو مسرف، والله سبحانه سيضله بهذا الإسراف التكريبي الذي يسير عليه ويواجه به الحق، قال مؤمن آل فرعون لقومه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩] بل أنتم قوم مسرفون.

(٢) الإسراف السياسي: يقول تعالى عن فرعون: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [الدخان: ٣٠-٣١]، من المسرفين!

من المعلوم أن أساس نكران قوم فرعون لدعوة موسى ﷺ كانت تنطلق من منطلق سياسي قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا

لَنَا عِبْدُونَ ﴿٤٧﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ [يونس: ٧٨].

(٣) الإسراف الاجتماعي قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿٨١﴾ [الأعراف: ٨١]، بل أنتم قوم مسرفون، وهذا النوع من الإسراف يراد به الخروج عن الحد الطبيعي الذي وضعه الله - عز وجل - للناس في إشباع شهوتهم من خلال الأنثى التي خلقها الله - عز وجل - لهذه الوظيفة وتلك الحدود تعرفها جميع المخلوقات حتى الحيوانات والطيور والحشرات، وأما أن تتحول وظيفة إشباع الشهوة من النساء إلى الرجال، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿٨١﴾ وذلك هو أعظم الخروج عن القانون الطبيعي للحياة الاجتماعية وهو أعظم الإسراف.

(٤) الإسراف الاقتصادي وهو ما يهمناهنا:

أ- يقول الله تعالى في النهي والتحذير من الإسراف والتبذير: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [النساء: ٦]، هذا الخطاب للقيم على مال اليتيم.

ويقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَّعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآثُوا حَقَّهُ يَوْمَ

حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ [الأَنْعَام: ١٤١]، قوله:
﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ هذا خطاب لمن يجمع الثروة
ولمن ينفق يقول فيه «ولا تسرفوا»

ويقول تعالى: ﴿يَبْنَىٰ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا
وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٣١] فهذا
خطاب للتغذية والزينة يقول فيه «ولا تسرفوا».

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧]، فهذا الخطاب موجه لكيفية الإنفاق ومقداره
وحجمه الطبيعي.

ذلك هو المعيار وذلك هو (الترموتر) الاقتصادي للاقتصاد الطبيعي
في القرآن الكريم، يقول فيه ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (بين ذلك..
قوامًا)، قوامًا أي «بما تقوم به الحاجة وبما تستقيم به الحياة» قوامًا
بما يتحقق به الهدف من الإنفاق، فإن تحقق الهدف بدينار واحد
فلا يجوز أن يُصرف فيه ديناران؛ لأن الدينار الثاني يعتبر إسرافاً والله
لا يحب المسرفين.

تلك هي الحقيقة التي يجب أن ندركها في قضية الإنفاق إنها قضية
الحساب حساب التكلفة لكل قضية لا تتحقق إلا بالإنفاق والحساب
والتقدير تلك السنة اتبعها الله - عز وجل - في الخلق وفي تدبيره للخلق.

قال تعالى في تنزيل الأرزاق بقدر: ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ
وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾ [الحجر: ٢١]، وقال في تنزيل ماء المطر
بقدر: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ [المؤمنون: ١٨].

فلو أنزل الله الرزق بغير قدر كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]، وكل شيء خلقه الله بقدر وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القم: ٤٩]، والأقوات في الأرض جعلها بقدر وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ فِيهَا رَوْسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]. من خلال تلك الآيات ندرك أن الله -عز وجل- خلق الخلق وقدر الأرزاق بقدر محدد بما تستقيم به الحياة، يخبرنا الله -عز وجل- أنه لو زاد على ذلك التقدير لفسدت الأرض والحياة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

وعندما نضع الآية السابقة التي تقول ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ [الإسراء: ٢٧] ندرك أن الإسراف والتبذير والإنفاق بغير قدر إنما ذلك جزء من عملية الإفساد في الأرض.

مدى الإضاءة

الثروة والمال عصب الحياة والعامل المحرك لها والأرض بما فيها من ثروات هي تتناسب مع حجم البشر وحجم حاجتهم وحركتهم فيها، وكل انفاق غير طبيعي إنما هو على حساب حاجة البشر الآخرين؛ لذلك كان المسرف هو قرين المفسد والظالم في الحياة وكما أخبر سبحانه أنه لا يحب المفسدين والظالمين كذلك قال ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾

وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٢٦]. وبالإسراف والتبذير تحصل للعبد عقوبتان:

الأولى: أن الله لا يجبه، كما قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٣١].

الثانية: أنه يصير أخا للشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِيْنَ كَانُوْا إِخْوَانَ الشَّيْطٰنِ ط﴾ [الإسراء: ٢٧].

ب- لماذا كان المبدرون إخوان الشياطين؛ لأن الشيطان يفسد على الإنسان عقيدته الفكرية والتبذير والإسراف يفسد على الإنسان دنياه الاقتصادية، وجه التشابه في التصرفات بين أهداف الشياطين وتصرفات المبدرين التي جعلتهم إخوة هي على النحو التالي:

الوجه الأول: أن الإسراف يضيع الحقوق والشياطين يحرصون على ذلك ويرضونه، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (ما من مسرف إلا وراءه حق مضيع).

الوجه الثاني: أن التبذير إضاعة رزق الله تعالى، في غير نفع، بل في ضرر مؤكد، وهذا يرضي الشيطان، ويقرب المبدر إليه.

الوجه الثالث: أن التبذير كفر للنعمة والشيطان يحث على المعاصي، والمعاصي كلها كفر للنعم، وختم الله سبحانه الآية بقوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطٰنُ لِرَبِّهٖ كَفُوْرًا﴾ أي أنه كافر بنعمة الله كافرًا بلغ فيه أقصاه فلغنه الله - سبحانه وتعالى -.

وإذا كان الإسراف منهيًا عنه، فالبخل أيضا منهي عنه، والاعتدال هو المطلوب ولا يكلف إنسان ما لا يقدر عليه، ولذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا

تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ [الإسراء: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

الإعراض عن العطاء: ألا يعطي ولا يمنع بل يسكت كأنه المعرض، ولا يستحسن المنع؛ لأن المنع فيه إيئاس من العطاء، ولا يريد ذو المروءة ألا يلقي اليأس والرد القاطع المؤيس في نفس طالب، ولكنه لا يعطي عجزاً، أو لعدم استحقاق الطالب، والخطاب للنبي ﷺ، ومن وراء خطابه خطاب أمته، والآية تأديب كريم وتوجيه إلى ما يكون عندما لا يكون مال يجب العطاء منه، أو عندما لا يكون موجباً للعطاء.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، إما تعرضن عنهم لفقد القدرة على العطاء مع رجاء رزق هو رحمة من ربك ترجوها، لتعطيتهم عند تحقيق الرجاء وهذا هو أقربها؛ إذ مؤداها أنك ترجو رزقاً، وقد طلب منك العطاء في وقت لا مال معك، فلا تردهم رداً قاطعاً مانعاً، رجاء الرزق. فقل لهم قولاً ميسوراً أي قولاً سهلاً لينا من غير جفوة، بل في عطف يدينهم ولا يبعدهم، والقول الميسور لا يكون فيه قطع عن العطاء بل فيه رجاء لهم، كقوله يسر الله لي ولكم، أو أعطاني الله وأعطاكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

المبدأ الإلهي الذي يخاطب به كافة العباد في ذلك، هو أن يكون الإنفاق قائماً على العدل بين التقدير والبخل المعيب من جانب، والإسراف

والتبذير المقيت من جانب آخر. ولكن الأسلوب القرآني لا يعبر عن هذا المعنى بهذه الطريقة المألوفة، وإنما يخرجها في صورة محسوسة متخيلة فيقول: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً. فقد صورّ البخل في مظهر اليد المربوطة إلى العنق فهي لا تكاد تنفك عنه، ومعلوم أن اليد أبعد ما تكون عن الآخرين حينما تكون مقيدة بهذا الشكل الغريب، وصورّ الإسراف بتلك اليد التي تظل ممتدة ومبسوطة لا تكاد ترجع إلى صاحبها أو تنقبض على شيء، ثم هدد من يلتزم بذلك التفريط أو هذا الإفراط بأن سيأتيه يوم يعود من دأبه هذا ليقعد منقطعاً عن أسباب العيش والرزق، يتلقى اللوم من الله سبحانه والناس على ما أفرط أو فرط، وتأتي الآية التي بعدها، واقعة موقع التعليل مما قبلها وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]. أي فإذا كان مصدر رزقك هو الله - عز وجل - يبسطه إذا شاء ويضيقه عند ما يريد، فالتزم وصيته في آداب الإنفاق وكيفيته، إذ لا البخل هو الذي يحفظ مالك ويربّيه ولا التبذير والإسراف يمنعانك من أن يعاقبك الله بذلك فيقدر عليك رزقك الذي تتقلب وتمرح فيه. ثم يقول: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾، إشعاراً بأنه يراقبهم بصدد ما يأمرهم به من هذه المبادئ، هل ينفذونها أم يعرضون عنها؟. ولما كان المال بتلك الأهمية فإن إدارته في القرآن الكريم لا تتم إلا عبر قيادة راشدة.

ج- الاقتصاد عملية قيادية لا تعطى إلا للراشدين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، والمعنى: ولا تؤتوا

أيها الأولياء من يُبَدِّر ويسرف من الرجال والنساء والصبيان أموالهم التي تحت أيديكم فيضعوها في غير وجهها، فهذه الأموال هي التي عليها قيام حياة الناس، وأنفقوا عليهم منها واكسوهم، وقولوا لهم قولاً معروفاً من الكلام الطيب والخلق الحسن.

ويقول تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ^ط وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ^ط وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا

﴿النساء: ٦﴾، أي واختبروا من تحت أيديكم من اليتامى لمعرفة قدرتهم على حسن التصرف في أموالهم، حتى إذا وصلوا إلى سن البلوغ وإلى مرحلة الرشد وعلمتم منهم صلاحاً في دينهم، وقدرة على حفظ أموالهم، فسلموها لهم، ولا تعتدوا عليها بإنفاقها في غير موضعها إسرافاً ومبادرة لأكلها قبل أن يأخذوها منكم.

ومن كان صاحب مال منكم فليستعفف بغناه، ولا يأخذ من مال اليتيم شيئاً، ومن كان فقيراً فليأخذ بقدر حاجته عند الضرورة. فإذا علمتم أنهم قادرون على حفظ أموالهم بعد بلوغهم الخُلُم وسلمتموها إليهم، فأشهدوا عليهم -ضماناً لوصول حقهم كاملاً إليهم- لئلا ينكروا ذلك. ويكفيكم أن الله شاهد عليكم، ومحاسب لكم على ما فعلتم.

نبهت الآيات إلى نوعين من الإسراف:

النوع الأول: حذرت من إسراف الصبي والطفل الصغير والمرأة والرجل السفية ومنعهم من أن يتولوا التصرف في أموالهم وهو ملكهم الحلال ومنعهم من ذلك حفاظاً على أموالهم من الإسراف والتبذير الذي

سيحدث لو أنهم تصرفوا بها.

النوع الثاني: وكذلك حذرت من المسرف القائم على رعاية أموال الأيتام، من الإسراف في صرف أموالهم حيلة قبل أن يكبروا قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوها إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾.

أسباب الإسراف والتبذير:

١- الجهل: جهل المسرف والمبذر بأحكام الشريعة الإسلامية لا يعرف أن الإسراف والتبذير منهي عنه فيقع فيه.

٢- التأثر بالبيئة: فالإنسان الذي يعيش في بيئة ينتشر فيها الإسراف والتبذير سيتطبع بطبعهم بمحاكاتهم وتقليدهم فيما يفعلونه.

٣- السعة بعد الضيق: قد يكون الإسراف سببه السعة بعد الضيق أو اليسر بعد العسر ذلك أن كثيراً من الناس قد يعيشون في ضيق أو حرمان أو شدة أو عسر وهم صابرون محتسبون بل وماضون في طريقهم إلى ربهم وقد يحدث أن تتغير الموازين وأن تتبدل الأحوال فتكون السعة بعد الضيق أو اليسر بعد العسر وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط أو الاعتدال فينقلب على النقيض تماماً فيكون الإسراف أو التبذير.

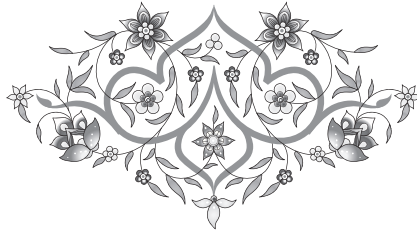
٤- الغفلة عن الآخرة: فلا يغتر بالدنيا ويغفل عن الآخرة، فإن الدنيا دول وتتبدل الأحوال فيها، فمرة في الغنى ومرة في الفقر وأنها دار ممر وليست دار مقر، ولو كانت تساوي جناح بعوضة لما سقى منها الكافر شربة ماء.

٥- مصاحبة المسرفين والمبذرين: قال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال».

فالإسراف والتبذير ربما يكونا بسبب صحبة المسرفين ومخالطتهم ذلك أن الإنسان غالباً ما يتخلق بأخلاق صاحبه وخليله لاسيما إذا طالت هذه الصحبة وكان هذا صاحب قوى الشخصية شديد التأثير. ولعلنا بذلك ندرك السر في تأكيد الإسلام وتشديده على ضرورة انتقاء الصحاب أو الخليل.

مظاهر الإسراف

تتجلى مظاهر الإسراف في العديد من السلوكيات، لا سيما في شهر رمضان والمناسبات المختلفة، كالأعراس والأعياد والحفلات ومن أبرز أشكال الإسراف وأكثرها وضوحاً الإفراط في إعداد المأكولات والمشروبات وإهدارها: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، سبحان الله! انظر! الإسراف، الإقتار، والذي بينهما فجوة، يقول: ﴿بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ليس هو عبثاً لكنه ﴿قَوَامًا﴾ تستقيم به الأمور.



المنطلق التحذيري الثاني

المال والثروة جزء من أجزاء الفتنة والابتلاء

وهذا التحذير نقتبسه من نور قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، جملة تتكون من خمس كلمات هي جزء من آية في سورة الأنفال، تكررت هذه الجملة مرة أخرى في سورة التغابن ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

هذه الجملة لها ارتباطات بجمل وآيات كثيرة في القرآن الكريم، هذه الجملة جاءت لتؤكد حقيقة سنة من سنن الله سبحانه في الحياة، سنة فاعلة ومستمرة وقائمة، تقوم مع قيام كل جيل، وتظهر مع ظهور كل أمة، ولا يمكن لأي جيل بل لا يمكن لأي إنسان يعيش في الحياة حتى يصل مرحلة التكليف إلا أن تمر عليه هذه السنة، ولا بد له إلا أن يدخل في دائرتها، ولن يخرج منها إلا وقد طلعت نتيجة اختبار، فإما أن يفوز فيها وإما أن يخسر وهذه السنة لن تستثني أحداً أبداً يقول تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]، فقوله: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ﴾ تصحيح لفكرة خاطئة عند الناس، والناس هم بنو آدم ﷺ منذ خلق آدم ﷺ إلى يوم القيامة ﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ أحسبوا أن يتركوا يعيشوا في الأرض دون أن يدخلوا دائرة الفتنة، هيهات هيهات أن يصير هذا؛ فلا بد لكل من ادعى الإيمان إلا أن يدخل دائرة الفتنة قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ

أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ [العنكبوت: ١٠].

عمليات الفتنة ودواثرها

الفتنة تتم من خلال عمليتين العملية الأولى دائرة الشر والعملية الثانية دائرة الخير.

قال تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْثَرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

١- العملية الأولى: فتنة الشر تتم عن طريق بعض هذه الأمور، وهي:

أن يتسلط عليك عدو يجاربك بسبب دينك وعقيدتك، أو جار يؤذيك، أو مرض يصيبك، أو مصائب تقع عليك وما إلى ذلك، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٥١﴾ [البروج: ٥١]، ويقول تعالى: ﴿وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴿١٩٣﴾ [البقرة: ١٩٣]، ويقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴿٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

٢- والعملية الثانية: فتنة الخير وتتم عن طريق بعض هذه الأمور، وهي:

أن يبسط الله لك في الرزق أو الملك أو العز والجاه أو الصحة والقوة وما إلى ذلك من أصناف النعم التي يعطيها الله لعباده، يقول تعالى عن ذلك: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاؤُكُمُ وَأَوْلَادُكُمُ فِتْنَةٌ ﴿٢٨﴾ [الأنفال: ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴿١٣١﴾ [طه: ١٣١]، ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ وَ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴿٤٩﴾ [الزمر: ٤٩]، ويقول تعالى: ﴿وَأَلُو اسْتَقْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴿١٧﴾ [الجن: ١٦-١٧]،

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

وبذلك فإن نعمة الرزق والمال والثروة هي إحدى وسائل الفتنة التي تدخل في دائرة الفتنة بالخير.

كيف تتم الفتنة بالأموال والأولاد والثروات؟

أتدري ماذا تعني أن أموالهم وكل ثروتهم فتنة لهم، ذلك أن الله - عز وجل - سيدخلهم في مواقف ليختبرهم من خلالها، والهدف منها أن يختبر «ركونهم» قال تعالى: ﴿أَوْءَاوَيْتَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] هل ركونهم على الله أم على أموالهم وخزائنهم؟ هل ثقتهم بالله أم ثقتهم بكنوزهم وثروتهم؟ هل اعتمادهم على الله أم اعتمادهم على أموالهم وثروتهم؟ وغير ذلك من أسباب الابتلاء والفتنة.

وهذه بعض الصور للمواقف التي يمكن أن يقفها الأغنياء والتي تشكل مراكز ودوائر اختبارهم، سيدخلهم الله - عز وجل - في خصومة مع غرماء كخلاف مع مساكين؛ ليختبر مدى نسبة الكبر لديهم لينظر الله هل سيتكبرون؟ هل سيستخدمون أموالهم رشوة للحكام أو للسلطات العليا لينفذوا ما يريدون من أهداف ولو كان على حساب غرمائهم الضعفاء والمساكين أو حتى مع غرمائهم من الأغنياء؟ سيدخلهم الله في مواقف؛ ليختبر مدى نسبة العجب لديهم هل لديهم إعجاب بأنفسهم وبأموالهم؟ قال تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٢٦]، سيدخلهم الله في مواقف ليختبر مدى جشعهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ [ص: ٢٤]، سيدخلهم الله في مواقف؛ ليختبر أيهما أقوى لديهم إيمانهم بربهم

وثقتهم به أم إيمانهم وثقتهم بأموالهم وكنوزهم وخزائنها؟ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، سيختبر جهادهم هل سيجاهدون بأنفسهم وبأموالهم؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتُنذِرُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣]، واعلموا أن ما يدور في الأمة اليوم من حروب وصراع هي فتن للابتلاء، والأغنياء هم أول المفتونين بذلك فما حدث ويحدث في غزة وما حدث ويحدث في اليمن وسوريا وليبيا والسودان وغيرها كل تلك الحروب يحتاج فيها المجاهدون والمدافعون عن الأمة ودينها ومقدساتها كل ذلك يحتاج إلى أموال، والأغنياء هم المعنيون بهذه الفتنة الواقعة حتى يتبين المجاهد المنفق بماله ويتبين المخلفون والقاعدون والرافضون أن يجاهدوا بأموالهم، قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ [١٣] لَا يَسْتُنذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤٣-٤٤] ومن أهداف فتنة الأغنياء أن الله -عز وجل- سيختبر ورعهم من خلال تسهيل صفقات مرجحة تصل إلى أيديهم، رجحها كبير ولكنها مشبوهة قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ وَأَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]، سيختبر أخلاقهم وصبرهم من خلال زبائن وعملاء يتعاملون معهم، سيختبر مدى عفوهم عن المديونين العاجزين قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، سيختبر مدى انفاقهم وتصدقهم، هل هم من (المنفقين في السراء والضراء) وعن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة (يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين، قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي) صحيح مسلم، سيختبر مدى تعلقهم بالآخرة ومدى يقينهم بما عند الله سبحانه، قال تعالى:

﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَرُّعِ ﴾ [الجمعة: ١١] سيختبر مدى بخلهم وظنهم بما في أيديهم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾ [التوبة: ٧٦] وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [النساء: ٣٧]، سيختبر إخلاصهم هل سينفقون رثاء الناس هل هم من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ٣٨]، وقوله: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِئْتَكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَلْسِقِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاهِنُونَ ﴿٥٤﴾، أولئك أغنياء سبقوك سقطوا في الابتلاء والفتنة التي تعرضوا لها سقطوا وهم يعيشون مع النبي ﷺ سقط أولئك الأغنياء والقرآن الكريم ينزل بنور الهداية على الناس فلم يستفيدوا من ذلك الواقع، بل لقد كان القرآن الكريم ينزل عليهم ويفضح مواقفهم ويبين للناس كل ما أخفاه أولئك الأغنياء في صدورهم من النفاق والكذب والخداع، إنها الفتنة التي يتعرض لها الأغنياء في كل زمن لا بد أن تفضحهم في الدنيا قبل الآخرة.

تمنى قوم قبلك المال والغنى في زمن رسول الله ﷺ وعاهدوا الله لئن

رزقهم الله سبحانه فسوف يتصدقون ويكونوا من المنفقين في سبيل الله، فلما رزقهم الله ووسع عليهم لم يستطيعوا أن يوفوا بوعودهم وعهدهم؛ لأن الإنسان يحب المال ولا يستطيع أن يفرط به قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، لقد سقطوا في الابتلاء قال تعالى عنهم ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٧٥] فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]، لقد كان الفقر خيراً لهم لو كانوا يعلمون؛ لأن العقوبة كانت وخيمة عندما بخلوا وهم أغنياء؛ فأعقبهم نفاقاً أي أنهم كانوا قبل ذلك سليمين من النفاق والذي سبب لهم النفاق هو المال الذي بخلوا به.

فاعلم أيها الأخ الحبيب أن الله -عز وجل- حين اختار لك وضعك المادي الذي أنت فيه إن كان أعطاك رزقاً يسيراً لا يكاد يكفيك فذلك خير لك؛ فلعله لو فتح لك باباً من الرزق وأدخلك معه في الفتنة ما كنت لتخرج منها سالماً، فقد تخرج منها بلا إيمان أو بلا ثقة بالله، أو قد تخرج منها وقد صرت في عداد المتكبرين أو في عداد المعجبين، أو قد تحولت إلى طاغية، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ أَسْتَفْتَىٰ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧]، ما أعطي أحداً مالاً أو ثروة إلا أدخله الله بعدها دائرة الفتنة، والناجون منها قليل لن ينجوا إلا من سلمه الله إلا من وفقه الله سبحانه والنجاة منها نعمة أعظم من حصولهم على النعمة نفسها، فإذا كان الفقير يفتح باباً إلى الذل فإن الغني بالعكس فهو يفتح باباً إلى العز، والعز يؤدي إلى التكبر والإثم واحتقار الآخرين قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾،

وقال تعالى: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، فالغنى باب إلى الغرور والعجب والكبر والعلو في الأرض، وقد يصاب الفقراء بالكبر مع كونهم بعيدين عن أسبابه فإذا ما تكبروا كانت مصيبتهم أعظم. فعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: الإمام الكذاب، والشيخ الزاني، والعائل المزهو» مسند أحمد، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يُزكِّيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مُستكبر» الجامع الصحيح.

لذلك كان الغنى باباً من أبواب الابتلاء يعدل نصف الابتلاء بأمور الدنيا إن لم نقل أغلبها.

فارض بما قسم الله لك فقد يكون ما أعطاك الله سبحانه من رزق ولو كان يسيراً هو خير لك، ولا تنظر إلى أصحاب الثروات والغنى وأعلم أنهم في ابتلاء عظيم وفتنة محيطة.

فقد تكون أموالهم سبباً في عذابهم في الدنيا وسبباً في موتهم على الكفر يقول تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة: ٨٥].

نظرة الإعجاب الخداعة

وهذا ما حدث بالفعل لقارون، فقد كانت أمواله سبباً في عذابه في الدنيا وموته على الكفر لكن النظرة الخداعة نظرة بني إسرائيل لزينة قارون حين خرج على قومه بتلك الزينة وتلك النظرة كانت

نظرة خداعة خدعت بني اسرائيل عن إدراك حقيقة أن المال فتنة وأن الناجين من هذه الفتنة قليل.

قارون في زينته وآماني قومه

لقد أدرك قوم موسى ﷺ الذين كانوا يريدون الحياة الدنيا بأن الله سبحانه قد أنعم عليهم حين لم يجعلهم أغنياء عندما رأوا عملية الخسف التي حصلت لقارون حين رأوها رأي العين، فقالوا كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨٢]، ومعنى: ﴿لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ لولا أن من الله علينا فحفظنا من رزق كرزق قارون لخسف بنا، أي ل كنا طغيانا مثل طغيان قارون فخسف بنا كما خسف به (تفسير ابن عاشور). قوله: ﴿لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يقول: لولا أن تفضل علينا، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ (تفسير الطبري)

قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ أي: لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا، كما خسف به؛ لأننا وددنا أن نكون مثله. (تفسير بن كثير)

جعلوا فقرهم نعمة من نعم الله أنعم بها عليهم فقالوا ﴿لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾، والحقيقة أن الجميع مفتون الفقراء والأغنياء.

فتنة الفقر وفتنة الغنى في السنة

ورد في صحيح البخاري: عن عائشة عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ

القبر، وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال، اللَّهُمَّ اغسل قلبي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الكسل، والمأثم والمغرم) صحيح البخاري.

من أنواع التحذير (مد العين إلى متاع الآخرين) في غاية الأهمية، قال تعالى: ﴿وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثْنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿لَا تُمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، المد يطلق على جميع الجوارح أثناء الحركة: ك (مد القدم، ومد اليد، ومد النظر)، فلماذا نهى الله - عز وجل - رسوله ﷺ عن مد نظره إلى أملاك من وسع الله عليهم بالأموال والقصور والأولاد من متع الحياة الدنيا وزينتها؟

النظر من أهم أسباب تحديد الأهداف

فحين تنظر إلى شيء محدد وتفكر فيه، عند ذلك يبدأ الإنسان في مراجعة قائمة الأهداف والاهتمامات لديه، ولذلك فأكثر الناس يحددون أهدافهم من خلال المنظورات والدليل على ذلك: أن من يعيش في بيئة مهندسين بارعين يريد أن يصبح مهندسًا، ومن يعيش في بيئة تجارية يريد أن يصبح تاجرًا، ومن يعيش بين أطباء ماهرين يريد أن يصير طبيبًا، ومن يعيش بين علماء مؤثرين يريد أن يصير عالمًا، وهكذا دواليك، فالنظر هو أكثر ما يحدد الأهداف لدى الكثير، فإذا أضيف إليه السمع والحديث المنسجم مع البصر عندها

يصبح البصر هو المقرر في تحديد الأهداف.

ولأن الله - عز وجل - قد حدد الأهداف للأنبياء والمرسلين بأنها تبليغ الرسالة التي اختارهم على أساسها حيث قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، لذلك نبه الله - عز وجل - نبيه ﷺ من النظر الممدود إلى أموال ومتع الأغنياء وما يمتلكون من زينة الحياة الدنيا ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فقال له ربه: ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، لا تمدن عينيك، المد لا يكون إلا للشيء المحسوس كمد اليد والرجل وغير ذلك، لكنه هنا يقول ولا تمدن عينيك وكأنها يد، وهذا يزيد المعنى قوة في تأثر الناظر بالمنظور وكأنه يجسه بيده ويلتصق به التصاقاً، وذلك ما تريد أن توضحه الآية الكريمة حتى لا يتأثر الرسول ﷺ بالمنظور أمامه من الأموال وما إليها من القصور والأولاد من متع الحياة الدنيا والهدف من هذا المنع من مد بصره ﷺ هو الحفاظ على قائمة أهدافه التي حددها الله - عز وجل - له فلا تتغير ولا تتبدل قائمة الأولويات لديه ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وهنا ينبه النبي ﷺ أن الله - عز وجل - أعطاهم تلك الأموال والمتع ليفتنهم بها، يخبره حقيقة تلك الأموال والنعم التي رزقهم بها ولماذا رزقهم بها؟ لنفتنهم بها.

وبذلك يخبر النبي ﷺ أن تفكيره في استخدام هذه الأموال لو كانت معه أنها ستنتفع الدعوة حين يصرفها ويستخدمها في هداية الناس بأنها لن تنتفع في ذلك أبداً؛ لأنها وسيلة استثنائية لا تنتفع إلا بعد النصر

والتمكين ﴿الْمَوْلَفَةَ قُلُوبُهُمْ﴾، أما وسيلة الهداية قبل الحرب وقبل التمكين فهي وسائل أخرى وأما المال فلا ينفع في شيء قبل النصر والتمكين ولذلك قال الله - عز وجل - لرسوله ﷺ قبل المعركة: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣] وهذه الآية على القول الصحيح: إنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، انظر إنها نزلت قبل القتال وقبل النصر والتمكين.

وعلى القول الآخر الذي يقول: إنها نزلت في مكة فهو قول يؤكد المؤكد ويتناسب مع نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، فقد نزلت في مكة قبل الهجرة وقبل النصر والتمكين وهو ما يؤكد أنه لو أنفق ما في الأرض لن يؤلف المال بين قلوبهم، أما بعد النصر والتمكين الذي حققه المؤمنون الذين ألف بين قلوبهم بالإيمان والمحبة والأخوة، وجعل النصر والتمكين على أيديهم بعد ذلك يمكن للمال أن يؤلف قلوب من لم تأتلف قلوبهم بالإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، فالنهي عن مد العينين إلى متع وأموال الكفار كان ذلك في العهد المكي أما في العهد المدني فقد جاء النهي بطريقة أخرى وأسلوب آخر ينهى النبي ﷺ عن الإعجاب بأموال وأولاد المنافقين وليس الكافرين.

التحذير من الإعجاب بأموالهم:

لماذا تغيرت صيغة النهي في قوله ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ والمنهي عنه واحد وهو النظر إلى المال والثروة التي أعطاه الله - عز وجل - للكفار في مكة وأعطاه للمنافقين في المدينة.

عرفنا سابقا معنى ودلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾، والآن تعالوا لنرى معنى ودلالة قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ يقول تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥] ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبْكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسِندَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

الجواب عن السؤال السابق هنا في هذا المعنى وهو: إذا نظرت إلى هؤلاء المنافقين تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، وإن يتحدثوا تسمع لحديثهم؛ لفصاحة ألسنتهم، وهم لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من الفهم والعلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها، يظنون كل صوت عالٍ واقعاً عليهم وضاراً بهم؛ لعلمهم بحقيقة حالهم، ولفرط جنونهم، والرعب الذي تمكّن من قلوبهم، هم الأعداء الحقيقيون شديداً العداوة لك وللمؤمنين، فخذ حذرك منهم، أخزاهم الله وطردهم من رحمته، كيف ينصرفون عن الحق إلى ما هم فيه من النفاق والضلال؟ (التفسير الميسر)

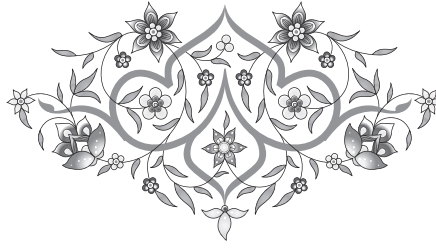
إذا فالإعجاب هنا معناه لا تعجب بما منحهم الله من نعم فيصرفك ذلك الإعجاب عن معرفة حقيقتهم وما في داخل قلوبهم من سواد وخبث وحقد مكنون لك وللإسلام والمسلمين فلا تغتر بظاهرهم المزخرف بالنعم ولا بأجسادهم وهيئاتهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ ولا تنخدع بكلامهم وحديثهم المنمق وقال: ﴿وَأَنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾.

ذلك الإعجاب لا يجعلك تنخدع بهم فإن حقيقتهم أنهم يحسبون كل صيحة عليهم، والحقيقة أنهم العدو الأول والأخطر قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ﴾، وعندما قال: ﴿فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥]، قال بعدها محذراً أن ينخدع بهم فيظنهم من صف المؤمنين: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]، لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً لو إليه وهم يمحون، وعندما قال: ﴿وَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ [التوبة: ٨٥]، قال بعدها مؤكداً أنهم لن يكونوا في صفوف المؤمنين ولن يقفوا معهم في القتال والجهاد قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦]، قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾.

من خلال ماضى ندرك أن المراد من قوله: ﴿فَلَا تُعْجِبُكَ﴾، ﴿وَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ﴾، فالمقصود به لا تنخدع بتلك المظاهر الجميلة البادية عليهم فتظن أنهم قد صاروا من المؤمنين أو أنهم سيقفون مع المؤمنين في صف واحد في قتال أو مواجهة.

لا يقودك هذا الإعجاب إلى ذلك التفكير في أنهم سيقفون مواقف الحق ولكن اعلم أن تلك الأموال والنعم لن تتوجه لنصرة الحق

وإنما ستكون وبالاً عليهم فالله - عز وجل - يريد أن يعذبهم بها في الدنيا بأنواع الهموم والغموم أثناء جمعها وتحصيلها ثم يموتون على الكفر دون أن يستخدموا هذه الأموال والنعم فيما سينفعهم في الآخرة.



السبب العقدي العملي

العمل بالأسباب:

١- اليقين الثابت:

هذا اليقين نفتبسه من نور قوله تعالى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، «كلما دخل عليها زكريا عليه السلام المحراب وجد عندها رزقاً» جملة هي جزء من آية تتحدث عن دخول يتكرر كلما دخل كل ما دخل فالدخول ليس مرة واحدة، ولا مرتين، بل هو دخول يشمل كل الدخول الذي دخله زكريا عليه السلام عليها المحراب لكي يقدم لها الطعام فهو كافلها منذ طفولتها، ومع كل دخول يجد عندها رزقاً، كل ما دخل وجد عندها رزقاً، إنه الرزق الذي لا يوجد عند نبي الله زكريا عليه السلام ولا يوجد في بلاد الشام كلها، رزقٌ مختلفٌ، رزقٌ يتنوع ويتجدد في كل مرة.

وهنا يسأل زكريا عليه السلام يسأل مريم عليها السلام قائلاً: أنى لك هذا، أنى لك هذا الطعام الذي لا يوجد في هذه البلاد ولا هو من حصاد هذا الموسم، أنى لك هذا الطعام الذي أجده معك، كلما دخلت المحراب وجدت لديك طعاماً، ﴿قَالَ يَمْرَيْمُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ فتجيب إنه من عند الله، إنه اليقين يقينها بربها يقينها أن الرزق بيد الله وليس بيد زكريا عليه السلام يقينها أن الكافل الذي يراها والمتكفل برزقها هو الله وحده، وأن رزقها الذي يأتيها من نبي الله سبحانه زكريا عليه السلام إنما هو بإذن ومشية من الله، وأن الذي جعل زكريا يكفلها هو الله قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا اللَّهُ، وَالْمُؤَافَقَةُ مِنَ اللَّهِ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا عليه السلام.

ثم أكدت مريم عليها السلام في نهاية الآية مدى يقينها بقدرة الله على الرزق وتيسيره، وكمية العطاء لمن يشاء وأنه عطاء بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، كان يقين مريم عليها السلام أن رزقها بيد الله سبحانه فلقد قال تعالى عنها في موضع آخر: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتٍ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحریم: ١٢]

فلما كان يقينها كذلك، ولما كانت من القانتين، كانت بعد ذلك أهلاً للاصطفاء قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]، قال أبو عبيدة: معناه من أين لك هذا؟ وأنكر بعضهم عليه، وقال: معناه من أي جهة لك هذا؟ لأن «أني» للسؤال عن الجهة وأين للسؤال عن المكان ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (البعوي)

إنه سؤال عن الجهة، فتحدد في إجابتها بأنه جهة واحدة تمدها بالرزق هي الجهة التي تملك خزائن السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ نزل من عند الله وتؤكد قائلة: إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، وهنا نتوقف مع طعام آخر نزل من السماء، فهل رزق مريم عليها السلام هو من ذلك النوع!؟

٢- بين رزق الشاك ورزق الموقن:

مقارنة بين موائد مريم عليها السلام ومائدة الحواريين.

١- مائدة الحواريين من بني اسرائيل جاءت بطلب منهم، يريدون أن يعرفوا مدى قدرة الله سبحانه على الرزق التي ترتاب منها قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٣]،

ونزلت لتكون آية لهم وعليهم، ولتطمئن قلوبهم أنهم قد اتبعوا رسالة الحق؛ ولكي يتأكدوا من صدق عيسى عليه السلام فقلوبهم ما زالت في شك منه حيث قال تعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: ١١٣].

نزلت مرة واحدة فقط، فنلاحظ أن الآيات جميعها تحدثت عنها بلفظ النزول غير المتكرر لمائة واحدة فقط في يوم واحد ليكون ذلك اليوم عيداً.

وقوله ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾، وقوله ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾، عندها قال الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾.

أما مائدة مريم عليها السلام فكانت متكررة ومستمرة تدل على أن طعامها كان يُعد في السماء وليس في بيت زكريا، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ لم يقل «عندما» دخل عليها، أو حين دخل عليها وجد عندها رزقا، ولكن قال «كلما» فقوله «كلما» يشمل كل دخول، منذ أن انتقلت لتعيش في المحراب.

إن مائدة ورزق مريم عليها السلام الذي تكرر نزوله عليها بطريقة غير معهودة عند البشر إنما هو عطاء من الله، وهبة من الله، وتكريم من الله، ومدد من الله سبحانه وتفضيل من الله وبركة من الله وضيافة من الله وتشريف من الله لمريم عليها السلام؛ لأنها كانت صديقة واثقة وموقنة بربها وقدوته على كل شيء، ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ لم يكن ذلك الرزق الذي ينزله الله لها من أجل أن يثبت إيمانها، وإنما كان ثمرة من ثمار يقينها بالله سبحانه وتصدقها بكلماته

فهو القائل: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وهو القائل: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْمُقْنِينَ﴾ قال يا مريم أنى لك هذا؟ قالت «هو من عند الله! إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فالرزق في قاموس الصديقين.

عقيدة الصديقة مريم عليها السلام أن الرزق هو من عند الله وهي كذلك عقيدة نبي الله إبراهيم عليه السلام الصديق عليه السلام ﴿إِنَّهُوَ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ولذلك قال لقومه ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

٣- الرزق بين اليقين والعمل بالأسباب:

كان رزق مريم عليها السلام عند المحراب وعند ولادتها بعيسى بين العقيدة والسبب.

إن المتأمل في قصة مريم عليها السلام يجد أن هناك موقفين في قضية الرزق، الأول: عندما كانت في المحراب كان يأتيها الرزق بغير جهد، والثاني: لما تحملت عبئ التكليف قال لها كما قال تعالى: ﴿وَهَزِيْ إِلَيْكِ جِذْعُ النَّخْلَةِ﴾، وهي في حالة متعبة نفسياً وبدنياً، والرزق فوق رأسها وهو أقرب إليها من الرزق الذي كان يأتيها من جهة بعيدة عن فلسطين كلها، أمرها الله - عز وجل - أن تهز النخلة لكي يسقط التمر من فوق رأسها، لقد كانت تراه بعينها لكنه لم يسقط من تلقاء نفسه وإنما قال لها الله - عز وجل -: ﴿وَهَزِيْ إِلَيْكِ جِذْعُ النَّخْلَةِ﴾، وهل يستطيع الرجل الضخم أن يهز جذع النخلة، فليلها ذلك فلماذا؟

أولاً: عندما تحدثت الآيات عن كفالة زكريا لمريم عليها السلام عقب بعدها مباشرة على أنه كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً وهذا يبين أن الرزق الذي كان يأتيها إلى المحراب كان يأتيها في سن الفتوة

وقبل البلوغ والرشد؛ لأن الحديث جاء في سياق خبر كفالة زكريا، فلما بلغت مرحلة الشباب وجاءها جبريل بالتكليف كمال قال تعالى: ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَتْهُ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٦-١٧].

فلما تحملت التكليف وجاءها المخاض عند النخلة، قال لها ﴿وَهُزِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ فأمرها بالأخذ بالأسباب بعدما وصلت مرحلة البلوغ والتكليف؛ لأن سياق الآيات يتحدث عن أنها وصلت إلى مرحلة البلوغ والتكليف ولذلك تكليفها بمهمة تتناسب مع مرحلة بلوغها.

ثانياً: أن القرآن الكريم يريد أن يخبرنا من قصة الرزق وهي في المحراب أن الرزق كله بيد الله سبحانه وليس بيد المخلوقين، وأن الكافل لليتيمة هو الله - سبحانه وتعالى -.

وأن من حكمة الله سبحانه من إحضار الطعام لمريم عليها السلام أن يقول لزكريا يا زكريا، إن الله قادر على أن يكفلها هو سبحانه ويرزقها برزق يأتيها من غيرك ولكننا أكرمناك بأن جعلناك كافلاً لها تشریفاً لك.

ثالثاً: من خلال الملاحظة والنظر في الآيات المرتبطة مع بعضها نجد أن هناك علاقة وطيدة بين القنوت لله - سبحانه وتعالى - المتمثل بالإنابة إليه والسجود والركوع له سبحانه وبين استجلاب الأرزاق والحصول عليها، قال تعالى: ﴿يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّكْعَيْنِ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣] ثم قال عنها بأنها ﴿وَكَاْنَتْ مِنَ الْقٰنِتِيْنَ﴾، والله - عز وجل - يقول عن الصلاة ﴿وَقَوْمُواْ لِلّٰهِ قٰنِتِيْنَ﴾ ولقد التزمت مريم عليها السلام المحراب عابدة وقانته لله رب العالمين، فلما قامت لله قانته جاءها الرزق من

رب العالمين وهي في المحراب، رزقاً سهلاً فريداً ليس له مثيل قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، يتأثر زكريا بهذا الفتاة، يتأثر بقنوتها ويتأثر بقربها ومكانتها عند الله - عز وجل - حيث سخر الله لها الرزق الذي لم يسخره لأحد في ذلك الوقت وأحضره لها إلى المسجد، تأثر بقنوتها ورزقها، فقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ «هنالك» «عند ذلك» «في نفس المكان» «وفي نفس اللحظة» دعا زكريا ﷺ ربه، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، هب لي ذرية طيبة، وكما أخبرتكم في المنطلق الأول.. المنطلق الطيب.

هنا يتجلى الأمر أن الذرية الطيبة يأتيها الرزق الطيب، والمرأة الطيبة القاننة يأتيها الرزق بطريقة تفوق الخيال، إنه يطلب من الله - عز وجل - ولداً والولد رزق، والذرية الطيبة رزق من الأرزاق، فاستجاب الله - عز وجل - دعاءه، وجاءته البشري، ولكن أين جاءته البشري؟ جاءته البشري بأن الله سيرزقه ولداً زكياً تقياً رضيعاً، جاءه هذا الرزق وهو في المحراب، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 39]، كان الرزق يأتي لمريم ﷺ وهي في المحراب، وهذا زكريا ﷺ يبشر برزق المولود وهو في المحراب.

مريم ﷺ يأتيها الرزق وهي في حالة قنوت لله رب العالمين، وزكريا ﷺ يأتيه الرزق الذي انتظره عشرات السنين يأتيه وهو في حالة قنوت لله رب العالمين.

والقنوت يعني القيام لله سواء في العبادات أو في الشرائع الأخرى والاستجابة لأمره، وقد قرن الله سبحانه الرزق بالقنوت في مواقف

شقي، وهو: ما يبين أن القنوت من أعظم الأسباب لاستجلاب الرزق قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [شاكراً لَأَنْعِمَهُ أَجْتَبَلَهُ وَهَدَانَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١]، والأجر الذي آتاه الله لإبراهيم عليه السلام في الدنيا هو أن بسط له الأرض المباركة قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] ورزقه الله فيها رزقاً واسعاً وجعل في ذريته النبوة والكتاب وهو أعظم عطاء قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

ومن أسباب الرزق بعد اليقين:

١- المشي والضرب في الأرض: قال تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] حتى مع المشي جعل المشي مقروناً بأنه من عند الله، ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا﴾، قال تعالى: ﴿وَعَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، والمشي والضرب في الأرض هو: تعبير يشمل كل الأسباب العملية التي يأتي من خلالها الرزق ويمتلك بها الإنسان المال والثروة، وأكثر سبباً للفقر هو اهتزاز اليقين الذي يؤدي إلى ترك العمل بالأسباب، أما قوة اليقين فإنها تؤدي للعمل بالأسباب.

لو أهلكك نفسك في السعي والعمل، أو في العبادة من صوم أو صلاة أو اعتكاف فسوف تظل فقيراً، إذا لم تعلم حقيقة سنة الغنى والفقر وقانونهما في الحياة، وهذا القانون لا يستثنى أحداً حتى الرزق الذي أعطاه الله لمريم عليها السلام فهناك فرق بين طعام ساقه الله -عز وجل- لمريم عليها السلام

وبين معنى الغنى والفقر.

لقد ساق الله - عز وجل - لمريم عليها السلام طعاماً وليس كنزاً، فالطعام استخدامه مؤقت، فترة قصيرة وتنتهي مدته، وهناك فرق بين الفقر والغنى والبحث عن المال والثروة بما يكفيك عن الحاجة للناس.

قالت امرأة، وصدقت في قولها: إذا سقط شيخ مؤمن من عاشر طابق فسوف يموت وإذا سقط كافر أو ملحد فسوف يموت؛ لأن قانون الجاذبية ينطبق على الكل بغض النظر أكان رجلاً أو امرأة، مؤمناً كان أو كافراً، لا فرق بينهما في قانون الجاذبية.

كذلك قانون الفقر، والذي يقول: إذا آمنت أن الله كتب لك الفقر وأن نصيبك من هذه الحياة أن تعيش فقيراً، وإذا كنت تعتقد أن الله يجبك لذلك جعلك فقيراً، وترك رزقك للأخرة، فأنت بذلك وقعت في قانون الفقر؛ وذلك:

أ- لأنك آمنت بأن ربك كتب لك الفقر مع أن الله - عز وجل - قال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ ولم يقل: إن الله يعدكم الفقر، وإنما قال: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾، وفضلاً أي رزقاً، وهذا الوعد من الله ليس محصوراً على الآخرة بل هو في الدنيا والآخرة.

ب- لأنك آمنت بأنك ستستمر في الفقر، وذلك يعني أنك تركت قانون اليقين، وقانون اليقين يقول: «إن أي شيء توقع بوجوده فسوف يتجلى بعالمك»، ولذلك أيقن وآمن أن عندك رباً غنياً، وأيقن وآمن أن عندك رباً كريماً قادراً على أن يغير حالك.

وهو الذي أمرك بالعمل بالأسباب وهو سيغنيك هو الذي سيعطيك أجر السعي، سيمنحك الغنى على قدر ثقته بك به.

٢- التقوى: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وصيام رمضان المقصد منه التقوى، والتقوى يأتي بالرزق والبركة؛ لذلك فالرزق يزداد في رمضان وكذلك البركة، فصيام رمضان يأتي بالتقوى قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والتقوى يأتي بالرزق قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وما دام أن رمضان يأتي بالتقوى لذلك فالرزق يزداد في رمضان قال ﷺ: «وهو شهر يزداد فيه رزق المؤمن» صحيح ابن خزيمة، وما دام أن رمضان يأتي بالتقوى لذلك فالبركة تأتي مع رمضان لذلك قال ﷺ: «أتاكم رمضان شهر بركة» مسند الشاميين للطبراني.

٣- التجارة: ذكر الله في كتابه الكريم جملة من الآيات تتحدث على أن التجارة من أسباب الرزق ومنها: قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢١﴾ [النساء: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ١٠﴾ [الصف: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا﴾ وإنك تلاحظ أن هذه الآيات انتهت بجملة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ

الرَّزْقِينَ ﴿١٧﴾؛ لأن التجارة من أسباب الحصول على الرزق.

٤- الشراكة التجارية: الشراكة في منظور الاقتصاد الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَحَالَطْتُمْ فَاخْوَانُكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿تَجَرَّةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وقول النبي ﷺ: «أَنَا ثَلَاثُ الشَّرِيكِينَ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَإِذَا خَانَ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا»

متى يكون شريكك الشيطان في مالك و ثروتك؟

يقول تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ [الإسراء: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ (شراكة بالأموال)، (شراكة في الأولاد والبنين).

كيف تتجنب دخول الشيطان معك في شراكة؟

١- تحقيق العبادة الكاملة لله رب العالمين قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

٢- عند دخول بيتك ومعاشرة أهلك وأخذ طعامك وعند عقد عقودك، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

٣- الصدق والأمانة في البيع والشراء، حديث النبي ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ بَيْعِهِمَا» صحيح البخاري..



المنطلق التدميري

أسباب هلاك الجنات والزرورع:

وهذا الهلاك نقتبسه من نور قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾، في هذه الآية: جملة من كلمتين هي جزء منها، وخاتمة لقصة من قصص القرآن الكريم، جملة من كلمتين فقط، لكنها تبين نهاية المال والثروة حين يتكبر بها صاحبها على الناس، وتبين الثمرة المرة والخاتمة المدمرة للمال والثروة حين يخرج بها صاحبها عن الهدف الطبيعي لها، وهدفها أن تكون هذه النعم وسائل من وسائل إعمار الأرض بالخير ونشر السكينة والطمأنينة في الأرض، لكن حين يحوّلها صاحبها إلى وسيلة لتدمير الأرض وتخريبها ونشر الفساد فيها وإقلاق السكينة والطمأنينة للبشر عند ذلك يأذن الله - عز وجل - بتدمير هذه النعم وإهلاك الجنات والأموال.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾، هي جملة من عدد من الجمل في القرآن الكريم، جميعها تمثل تلك النهاية الوخيمة للمال والثروة حين تتحول إلى أداة إفساد في الأرض ومن تلك الجمل، قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافٌ مِّن رَّبِّكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِمْ وَبِءَابَائِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَذَقَهَا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، كلها جمل تحكي نهاية الأموال والثروات أو نهاية أصحابها الوخيمة، فلقد كانت نهاية أصحاب الجنة أن ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فأهلكها، ولقد كانت نهاية أرض الجنتين في سبأ، سيل العرم الذي دمر الجنتين وشرّد بأهلها، ولقد كانت نهاية قارون وكنوزه

وقصوره الخسف في باطن الأرض، ولقد كانت نهاية القرية الآمنة التي يأتيها رزقها من كل مكان أن خلع الله عنها لباس تلك النعم وألبسها لباس الجوع والخوف، ولقد كانت نهاية القوم من بني اسرائيل الذين فتح الله لهم القرية التي فيها الرزق الرغيد أن صَبَّ عليهم العذاب والرجز من السماء صَبًّا، فلماذا أهلك الله تلك الجنات؟ ولماذا أنزل عليها وعلى أهلها العذاب والنكال؟

أسباب هلاك الجنات والأموال والثروات:

١- الكبر: أول سبب من أسباب هلاك الجنات والأموال هو: الكبر، وهو أعظمها سببًا.

تعالوا لنرى أثر الكبر والغرور والإعجاب في تدمير الجنات وهلاك الأموال، قصة الرجل المتكبر بماله وعشيرته على صاحبه، كما يحكيها القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢]

﴿كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأْتَتْ أُكُلَهُمَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣] ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤] فقال لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، يقول أنا أكثر منك مالاً وأنا أعز منك نفراً، إنه الكبر والاستكبار ولكن بالمال والثروة، قالها من قبل إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾، قال تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، استكبر إبليس بأصل خلقه (من نار)، وهذا استكبر بماله، يقول تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]

وقال تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾؟! ثم قرر أنه استكبر فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾ [ص: ٧٤]، لما تكبر إبليس وكان يعيش في الجنة فقال له الله عز وجل: ﴿قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين، إبليس قال: أنا خير منه وهذا قال: أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، إنه الاستكبار بالمال، الاستكبار على الناس، يرفض أن يكون مثل الناس أو أن يساوي نفسه بالآخرين، لسان حاله يقول لصاحبه: من أنت؟ أنت لا شيء، أنت لا يمكن أن تكون بمقامي ولا قدرك كقدري، ولا قيمتك كقيمتي، أنا أستطيع أن أفعل ما أريد، أستطيع أن أدخلك السجن بمالي الذي أشتري به القضاة والحكام، أنا أستطيع أن أفعل وأفعل وأفعل، أما أنت فلا تستطيع أن تفعل شيئا، أنا أعظم منك؛ لأن مالي أكثر من مالك وعشيرتي وقبيلتي ورجالي أكثر من عشيرتك وقبيلتك ورجالك، فلا تساوي نفسك بي، (أنا) ذلك هو حال صاحب الجنتين، وهو حال كل من يتكبر بماله على غيره، ذلك حال من يفكرون أنهم بما يمتلكون من أموال وثروات يعتقدون أنهم قادرون على أن يدوسوا على خواصر الناس ورقابهم، يقول ربنا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ ﴿٦﴾ أَن رَّبَّهُ اسْتَنَفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧].

ذلك هو حال من يطغى بماله، وهو حال صاحب هذه القصة التي يحكيها لنا القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۗ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٣٥]، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]

ثم يتناول فينكر البعث، ويفتأ في تقديره؛ فيقول: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ ينفي إيمانه بالساعة، ويقول مستهيناً غير عابئ، كأن الأمر لا يوجب اهتمامه فيقول: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ و﴿السَّاعَةَ﴾ هي ساعة الحساب، وهي التي تكون يوم القيامة، ويفترض أنه إذا صحت الساعة، فإنه سينال ما ينال في الدنيا، وأكثر منها، فيقول: مغترّاً ﴿وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ مرجعاً ينقلب إليه، بدلاً مما كنت فيه، وهو بهذا يقيس الحال المقبلة على الحال الحاضرة، وكأن جنات الدنيا ممتدة إلى الآخرة بل تزيد عليها، وإن هذا أقصى درجات الغرور فهو يفتأ على ربه، أو يقسم عليه، وإن هذا الغرور النفسي والطغيان على الناس هو الذي أدى إلى الكفر والإيغال فيه من غير حساب، هذه هي النفس الطاغية التي تسير في طريق الكفر، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧] أكفرت بالله واستكبرت وتكبرت؟! والله خلقك من تراب ثم من نطفة مذرة، قال تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨] وهو توضيح بأن هذا الغني قد أشرك مع الله، أشرك بالمال؛ لاعتقاده أن المال سيجعله قادراً على أن يفعل ما يريد.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف: ٣٦] فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٣٧﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُو طلبًا ﴿٣٨﴾ [الكهف: ٣٩-٤١] وبعد أن ظهر منه الاستكبار الذي أدى به إلى الكفر، يقول تعالى عن خاتمة قصة هاتين الجنتين وكيف صار حالهما في نهاية الأمر، يعبر الله

عن تلك النهاية بجملة مكونة من كلمتين لكنها جملة تشير إلى هلاك مدمر لم يبق منها شيئاً؛ لأن الهلاك أقبل إليها من جميع الجهات، قال تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾، وأحيط بثمره، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [٤٢] وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ [الكهف: ٤٢-٤٤]، فأصبح يقلب كفيه على عظيم خسارته وهي خاوية، خاوية على عروشها، ويقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ يا ليتني لم أركن على المال، ومن كان ركونه واستناده على غير الله، ومن كان ركونه على ماله وكنوزه وحوله وقوته، فإن الله -عز وجل- يجعل عذابه يوم القيامة بالشيء الذي كان ركونه عليه، قال تعالى عن الذين يكنزون الذهب والفضة: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ لماذا تكوى بها الجباه ولم يقل الأقدام أو الأيدي؟ لأن جباههم كانت ترقع للمال وتسجد له، ووجوههم كانت تتوجه حيثما يوجد المال وتوجد الثروة وتوجد مصالحهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥] فبعد كي جباههم تكوى جنوبهم، فلماذا تكوى جنوبهم؟ لأنهم كانوا يتكئون عليها ويعتقدون أنها وسيلتهم للقيام بين الناس وأن المال هو سبب عزهم ونفاذ كلمتهم في الأرض، ولم يكن اعتمادهم على الله، ثم قال ﴿وَوَظُهُورُهُمْ﴾ أي وتكوى ظهورهم بتلك الكنوز التي حمي عليها في النار، فلماذا تكوى بها ظهورهم؟! لأنهم كانوا يعتقدون أنها سندهم الوحيد يستندون عليها في التغلب

على أعدائهم وعلى بقائهم واقفين وشاخصين في الأرض، ولم يكن استنادهم على الله صاحب القوة المتين!!!

ولذلك كان من دعاء المؤمن عند منامه (وأجأت ظهري إليك) كما في الحديث المتفق عليه (من قال حين يأوي إلى فراشه) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أْوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ؛ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ» صحيح البخاري، وهو دعاء الاعتماد والاستناد إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة، وهو دعاء عظيم، وجدت خيره وفضله وأثره في حياتي، فمن أراد لنفسه الخير والتوفيق للخير فليواظب على هذا الدعاء قبل النوم.

قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ﴾، ولم تنفعه عشيرته التي أعتز بها حين قال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

وما كان منتصرًا بهم حتى لو قاموا معه ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ وليس للمال والثروة والعشيرة والقبيلة والعصبية، ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ثواب الله وجزاءه لعباده المؤمنين ولأوليائه هو أفضل الثواب وأعظم الجزاء وهو الباقي والمستمر وهو العقبى ﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

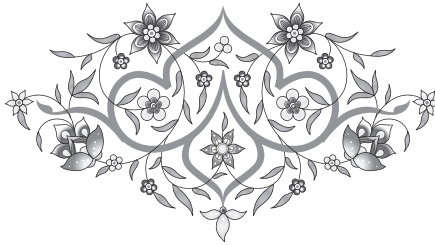
٢- منع حقوق الفقراء والمساكين: جعل الله -عز وجل- حقاً للفقراء والمساكين في كل مال وفي كل ثروة يمتلكها الإنسان، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥]،
 وقال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٦﴾﴾ [الناريات: ١٩]، وقال
 الله تعالى في قصة أصحاب الجنة: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ
 الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا
 طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [القلم: ١٧-١٩].

٣- البغي وإرادة العلو: قال تعالى: ﴿إِن قَرُونٌ كَانَ مِّن قَوْمِ مُوسَى
 فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦].



٤- الإعراض عن الله وعن منهجه: قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: ١٦].

٥- إرادة الانحراف: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً
 أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].





من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم

الإعجاز في الكلمة القرآنية 
الإعجاز البلاغي في التراكيب 
اللغوية

أ.د. عبد الله محمد سعيد 

توطئة

يقع النص القرآني في أعلى مراتب البلاغة والإعجاز بين كل النصوص المكتوبة باللغة العربية بل واللغات الأخرى، ذلك أنه نص موحى به من الله تعالى يخاطب به العرب الذين يعتزون بلغتهم ويتبارون في بلوغ الغاية العليا في صياغة الكلام بدرجة عالية من حسن القول وتعريف طرق صياغته وبنائه في أعلى الدرجات، وكان لا بد للنص القرآني أن يجاريهم بهذه القدرة ويتغلب عليهم ويعجزهم في الإتيان بمثله أو بمثل عشر سور من مثله بل وبمثل سورة واحدة من مثله..

ومظاهر هذا الإعجاز والتفوق البنائي تظهر واضحة للقارئ العادي ناهيك بالقارئ المتخصص المتمعن.

وسنورد في هذه الوريقات بعض هذه المظاهر الإعجازية:

الإعجاز في الكلمة القرآنية

ترد الكلمة القرآنية في سياقها ونظمها بحيث لا تستطيع استبدالها بمرادفها؛ لأنك لو فعلت اختل النظم وفسد السياق، ومن ذلك كلمة ﴿أَتَأَقْلُسُكُمْ﴾ و﴿أَدْرَكَكُمْ﴾ و﴿أَطَّيَّرْنَاكُمْ﴾.

فكلمة ﴿أَتَأَقْلُسُكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِمَّا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأَقْلُسُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، أتت هذه الكلمة وأخواتها على الوزن التصريفي (اتفاعل) وهو وزن لم يرد في كتب الصرف، لكنه موجود في اللهجات العامية العربية غير الفصحى (الكنعانية والأشورية والآرامية)، بل يأتي بدلاً عنه وزن (تفاعل) الذي يدل على حدوث الشيء دفعة واحدة في حين يدل الوزن (اتفاعل) على حدوثه مرة وراء مرة في تتابع متصل حتى يبلغ منتهاه.

فكلمة ﴿أَتَأَقْلُسُكُمْ﴾ هنا تدل على حدوث التثاقل عن الاستجابة لنداء الجهاد والاستنفار في سبيل الله متتابعاً ومتزايداً حالة بعد حالة حتى يبلغ منتهاه؛ ليكشف عن حالة نفسية غير مستقرة تفضل الركون إلى متاع الحياة الدنيا القليل الزائل والإعراض عن نعيم الآخرة الباقي الدائم، وهذا السبب الذي يدفع إلى هذا التثاقل، قال تعالى: ﴿أَرْضِيئُكُمْ بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٣٨] وهذا الخسران للآخرة يسبقه عذاب في الدنيا وإعراض من الله وإهمال واستبدال المعرضين بقوم آخرين، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]، فالنص القرآني هنا يحذر من الإعراض عن الجهاد والغزو بإيجاز شديد حيث استعمل كلمة واحدة هي ﴿أَتَأَقْلُسُكُمْ﴾ لكنه أطال في العرض حين

ذهب يكشف السبب ويحدد الجزء.

ومثلها كلمتا ﴿أَدْرَاكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾
﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦]، فهو لاء
القوم المعرضون يتتابع علمهم ويتزايد لكنهم رغم علمهم ورغم
تزايد الشواهد المادية والنفسية عليه لكنهم لا يستطيعون الانتقال به
إلى حالة اليقين فيبقون في حالة شك من مجيء الآخرة، بل في حالة
عماء تبقينهم في حالة قلق واضطراب وعدم استقرار وتناقض وتيه،
وهذا عذاب لا يدانيه عذاب، ولو أنهم سلموا وآمنوا لا طمأنت نفوسهم
واستقرت وطابت حياتهم.

وتأتي قبلها كلمة ﴿أَطْيَرْنَا﴾ للدلالة نفسها في قوله تعالى: ﴿قَالُوا
أَطْيَرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٧]، لتعبّر عن تزايد ضيق قوم ثمود
بنبي الله صالح ﷺ ومن معه، ورفضهم المتزايد لدعوته وكان إعلامهم
هذا مقدمة للاعتداء عليه وعلى من معه، لكن القرآن يرد عليهم
التهمة وزيفها، وأن التطير إنما هو حالة يعيشونها في أنفسهم صنعوها
بأيديهم ولا علاقة لدعوة صالح ﷺ لهم بها كما قال تعالى: ﴿قَالَ
طَيِّرْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتِنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

وتأتي الكلمات الدالة على يوم القيامة ذات جرس خاص وأصوات
شديدة قوية صاخبة لتدل على قوة التحول والتغيير في هذا اليوم العظيم
وشدته وهوله مثل قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ﴿الطَّامَّةُ﴾ ﴿الصَّاحَّةُ﴾
﴿الْأَرْزَاقُ﴾ ﴿الْقَارِعَةُ﴾.

ومثل هذا العدول عن كلمة (افترسه) إلى قوله ﴿أَكَلَهُ﴾ في قوله
تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا

يُوسُفَ عِنْدَ مَتَبَعِنَا فَأَكَلَهُ الدِّبْتُ ﴿١٧﴾ [يوسف: ١٧]، فقد أرادوا بهذا أنهم تشاغلوا بالاستباق حتى طال عليهم ذلك، وهذا أعطى الذئب الأمان لا ليفترس يوسف بعجلة ولكنه ﴿أَكَلَهُ﴾ وهو آمن من ردة فعلهم بتشاكلهم ذاك، وإنما ذلك حتى لا يطالبهم أبوهم بشيء باقٍ من ولده يوسف.

وفي سورة يوسف أيضاً استعمل إخوة يوسف كلمتي ﴿أَخَانَا﴾ و ﴿أَبْنِكَ﴾؛ لتكشفان عن حالة نفسية متناقضة كانوا عليها في حالين مختلفين، فحين منع عنهم شراء الطعام من عزيز مصر إلا إذا أجازوا إليه في المرة القادمة ومعهم أخ لهم من أبيهم، فاستعملوا كلمة ﴿أَخَانَا﴾ لإقناع أبيهم بإرساله معهم لكثير حرصه عليه ليدلوا على أنهم لن يفرطوا به ولن يتغافلوا عنه أو يهملوه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يوسف: ٦٣]، لكن هذا الأخ بعد أن اتهم بسرقة صواع الملك وأخذ في دين الملك عادوا إلى أبيهم ليتبرؤوا من هذا الأخ قائلين: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّ أَبْنِكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: ٨١]، فصار هنا ابنه وهو ليس أخاهم!

وهذا نبي الله أيوب عليه السلام أصيب بمرض شديد أقعده ونفر الناس من حوله وطالت مدة مرضه وفقد الولد وضاق بالأهل وضاع المال وهلك، فظل صابراً محتسباً لسنوات طويلة قيل: إنها ثمان عشرة سنة، بعدها شكى إلى الله حاله مع أدب شديد قال تعالى: ﴿وَإِيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۗ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ومع هذا البلاء قال أيوب عليه السلام ﴿مَسَّنِيَ﴾ وهي كلمة تدل على حياء أيوب عليه السلام من ربه في أن يشكو عظم حاله وألمه و(المس) أخف حال يلتقي منه شيثان، فالكلمة تأتي ضمن حقل دلالي يتدرج تنازلياً من (القبض إلى القبض

ومن المسك إلى اللمس إلى المس) فأشده القبض وأخفه المس، فهو رغم عظم الحال الذي صار إليه لم يشك إلا بقوله ﴿مَسْنِي﴾.

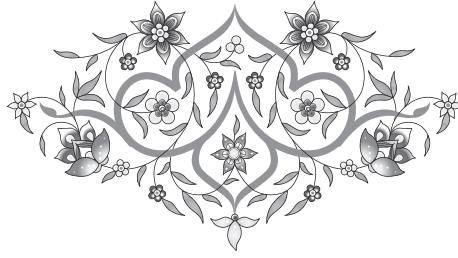
ومن ذلك قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام وقد عزم على تحطيم أصنام قومه: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [الصافات: ٨٨]، فاستعمل القرآن هنا حرف الجر (في) عدولاً عن حرف الجر (إلى) فهي ليست نظرة عابرة (إلى) وإنما هي نظرة عميقة متأملة إيهاماً لهم ومجازاة لمعتقداتهم ليبرر تحلفه عنهم فيصدقونه فيتركونه لسقمه الذي اعتذر به في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقد بيت النية لتحطيم أصنامهم، وقد صدقوه لهشاشة إيمانهم ومعتقدهم بأهنتهم، وإلا فكيف يصدقونه بدعواه النجوم في النجوم والمرض وقد قال لهم قبلها: في قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَدْعُو اللَّهَ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ﴾ [٨٦] ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٨٧] [الصافات: ٨٦-٨٧]، وللتأكيد بقوله: ﴿نَظْرَةً﴾ يدل على أنه أظهر لهم الاستغراق والشمول في التأمل زيادة في إقناعهم لتركوه، وقد كان ما أراد، فتركوه، فكان ذلك ما سهل له تحطيم أصنامهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فقال ﴿عِبَادِي﴾ فنسبهم إلى نفسه ليدل على لطفه بهم وقربه منهم ومعيته معهم وولائه لهم، ثم جاءت كلمة ﴿قَرِيبٌ﴾ لتؤكد على هذا القرب واللطف والمعية، ثم قال ﴿الدَّاعِ﴾ و ﴿دَعَانِ﴾ محذف ياء المد وما ذاك إلا ليزيد هذا القرب عمقاً ووضوحاً وتأكيداً، ولم تكن هذه الاستجابة السريعة لدعائهم إلا لارتباط هذا الدعاء بالصوم، فقد وردت هذه الآية بين آيات الصوم فالصوم يقرب الإنسان من ربه، يرقق قلبه ويلطف روحه وتخفف أثقاله وتحرق ذنوبه فيكون ذلك أدعى لاستجابة الدعاء بمشيئته سبحانه.

وكلمة ﴿يُزْجِي﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣]، فكلمة يزجي هنا تدل على السَّوق والدفع الشديد والسرعة وإن كان يرى بالعين المجرد لطيفاً وبطيئاً، ولكنه في الحقيقة والواقع فهو غير ذلك، ثم قال: ﴿يُؤَلِّفُ﴾ وكلمة يؤلف فيها لطف؛ لأن أنواع السحب المتجمعة مختلفة في الحجم والسرعة والكثافة والشحنة الكهربائية والتقاء هذه السحب فيها عنف وخطر يشبه التقاء الأمواج العاتية على سطح البحر وما يظهر فيها من عنف وقوة ورهبة، لكنها رحمة الله التي تؤلف بين أمواج السماء وسحبها بهذا اللطف والرحمة، ثم قال ﴿رُكَّامًا﴾ فتآلف السحب يجمعها ركاما بعضها فوق بعض، وهذا ما يجعلها تتكاثف فتبرد فينزل المطر والبرد ويظهر البرق، ثم قال: ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ ليدل على شدة لمعانه الذي يذهب بالأبصار ولا يذهب بها، فهو يذهب بها رهبة وخوفاً فيجعل المرء يغمض عينيه من شدة سنا هذا البرق حتى لكان بصره قد ذهب، ولكنه يفتح عينيه فيجد أن بصره ما زال في مكانه، وعليه فالآية تسوق عدداً كبيراً من الشواهد والآيات والنعم التي تشهد على ألوهيته وفضله - سبحانه وتعالى -.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧]، فقال تعالى في هذه الآية: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ بعد قوله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ ليدل على قدرة هؤلاء الضالين على اختلاق الكذب

وتزيينه وتزويره حتى لكأنه حقيقة تظل البسطاء من الناس، وهذا
الاختلاق للكذب والإفك لا يقتصر على تزيين وتزوير ألوهية الأوثان
المدعاة بل يختلقونه في كل أحوالهم ليضلوا الناس من جهة وليسيطروا
عليهم من جهة أخرى ويأكلون من أموالهم.



الإعجاز البلاغي في التراكيب اللغوية.

لا يقتصر الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم على اختيار المفردة اللغوية المناسبة ليضعها في المكان المناسب في السياق، لكنه يجعل التركيب اللغوي سواء كان جملة أم نصاً؛ ليكون أيضاً معجزاً، فالقرآن الكريم يستعمل تراكيب لغوية موجزة لإعطاء دلالة لغوية مناسبة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١١-١٢]، فالسياق القرآني هنا أراد أن يعبر عن حالة عقوبة قوم نوح عليه السلام بملء بلادهم ماء في أقل وقت وأضيقت مساحة تقتصر عليهم وحدهم لتنتج حالة من الطوفان الذي تصير أمواجه كالجبال في هذا الوقت الضيق والمساحة المحددة، فكان الحال أن السماء لم تنزل مطراً يقطر تقطيراً وإنما فتحت أبوابها العظيمة لينزل الماء في حالة انهيار لا حالة تقطير، فلك أن تتخيل سيولاً تنزل من السماء تعصف بها الرياح وتتقاذفها، ليس هذا فحسب وإنما لا بد أن يكتمل المشهد بأن تخرج الأرض مخزونها من الماء لا بفتح عيون الأرض لتخرج ماءها، ولكن يجعل الأرض كلها عيوناً تتفجر لتقذف مياهها إلى أبعد مسافة ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ هذه واحدة ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وهذه الثانية، لنكون أمام مشهد مهول من العذاب الذي أصاب القوم المعرضين الضالين.

وفي مقابل مشهد العذاب هذا يأتي مشهد الرحمة الذي أنقذ المؤمنين ومعهم نبيهم نوح عليه السلام فمشهد العذاب هذا يحتاج سفينة قوية صلبة عظيمة متماسكة تصمد أمام الأمواج العالية كالجبال والرياح العاتية العاصفة، فكان التعبير القرآني عن هذا المشهد بسيطاً سهلاً ليدل

على أن أمر النجاة من العذاب والغرق الذي أصاب القوم كان سهلاً ميسوراً، فنجاة المؤمنين جاء بواسطة أمر سهل لا يخطر على بال وهو أن السفينة التي نجاهم الله بها وعليها إنما هي في الأساس ألواح ومسامير، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القم: ١٣]، وكان السياق يشير هنا إلى أن نجاة قوم نوح كانت سهلة وميسورة وأسهل من ركوب السفينة هذه لو أنهم استجابوا لدعوة نبيهم وآمنوا بربهم وأخلصوا العبادة له، فما الذي يجعل هذه الألواح والمسامير قادرة على الصمود أمام هذا الهول من العذاب، ذلك أن هذه الألواح والمسامير ركبت تركيباً خاصاً فجعل منها أداة نجاة مرة حين رُكبت ومرة حين جرت على الماء، ومرة حين استوت على الجودي، قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القم: ١٤]، فسفينة النجاة هذه صنعت على عين الله ورحمته ولطفه وعنايته وحفظه، وهكذا عندما جرت على الماء، ومثلها عندما استوت على الأرض، وما ذاك إلا لأن هؤلاء الناجين كانوا مؤمنين موحدين شاكرين.

ولم يكن مشهد نهاية الطوفان بأقل عجباً من نهايته، فكلما كانت البداية سريعة مدهشة مدمرة كانت نهايته أيضاً مدهشة، فكان لا بد لأبواب السماء أن تتوقف عن قذف الماء المنهمر وكذا تفجر الأرض بعيونها بالماء أن ينتهي، فكانت نهاية المشهد على هذه الصورة المدهشة، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٤]، فلقد انتهى المشهد المهول العظيم كله بهذا الوصف الذي عبرت عنه ثلاث جمل قصيرة بل شديدة الإيجاز فتقوم الأرض ببلع مائها فبعد أن كانت عيوناً يتفجر منها الماء تحولت إلى أفواه عظيمة تبلع الماء بكميات كبيرة، وكان على السماء أن تتوقف عن إنزال المطر وإنما تقلع عن انهمار الماء فتقف أبوابها ليغيض الماء

وتبدأ الأرض في اليباس وتستوي السفينة على الجودي وتعود الحياة بأمر الله وكما أمر الله وعلى مراد الله وطاعته.

وفي سورة الرعد يقول تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ [الرعد: ١٤]، يقرر القرآن الكريم هنا حق الله تعالى في أن نعبد وحده في جملة موجزة شديدة الإيجاز ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ ثم يكشف زيف الآلهة المدعوة التي لا تملك من أمر الألوهية شيئاً ويكشف عجزها، فيشبه عبادتها والتوجه إليها بالدعاء لكشف الضر وجلب النفع كمثل شخص وقف بجانب مصدر ماء ثم بسط كفيه يدعو الماء ليصعد ويدخل فاه فمثل هذا المشهد لا ينتج استجابة فالماء سيظل في مكانه؛ لأنه ليست هذه الطريقة لشرب الماء الذي ليس له إرادة ليستجيب لدعوة هذا الشخص فيرتفع ويدخل فمه فالحال مثير السخرية من هذا المشهد، وكذلك هذه الآلهة المزيفة التي لا تملك من أمر نفسها شيئاً ناهيك عن أمر الآخرين فالتوجه إليها بالعبادة والدعاء لدفع الضر وجلب النفع وهي عاجزة حال تثير السخرية أيضاً.

وفي سورة الرعد أيضاً مشهد حسي آخر ليفرق بين الحق والباطل يؤكد المشهد السابق ويثير الدهشة في القلوب أكثر من السابق، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، فالآية هنا تتحدث عن غيث ينزله الله على بلاد فيها أودية عدة متفاوتة في القدر والمساحة والطول فكلما عظمت هذه

واتسعت وكثرت زاد استيعاب ذلك الوادي للماء وكلما ضاقت قل استيعاب الوادي لذلك الماء، وفي الماء إشارة إلى الوحي الذي أنزله الله على قلوب عباده فمن هذه القلوب قلوب واسعة لطيفة تتقبل الوحي بنسبة عالية ومنها قلوب ضيقة وعرة تتقبل من الماء بقدر ضيقها ووعورتها، ومنها قلوب منكوسة لا تتقبل شيئاً، ثم تتحدث الآية عن أن هذا الماء إذا سال في الوادي أخرج ننته وفساده فظهر على شكل زبد خفيف يتقاذفه السيل فيذهب به بعيداً في حين أن السيل يحمل في جوفه من الرواء والخصب ما ينفع تلك الأودية، ومثله ما ينتج عن إذابة خام الذهب وصهره لاستخراج الخالص منه، فينتج عن هذا الصهر شيئين: الأول: الخالص الذي ينفع الناس كنفع الماء للأودية، والثاني: الزبد أيضاً الذي يظهر على سطح المصهور فيزال بعيداً حتى لا يؤثر على نقاء الذهب، والتعامل مع الفضة مثله، والوحي في فعله في القلوب يشبه ذلك الماء ويشبه هذا المعدن الذي نوقد عليه النار، فهو يذهب بفسادها وخبثها لتصير قلوباً نقية مخلصه لطيفة يستقر فيها الإيمان والخشية والإخلاص، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾.

وفي سورة النور تأتي ثلاثة مشاهد مدهشة أشد الإدهاش فالأول في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ [النور: ٣٥].

فلا شيء في السموات والأرض إلا وهو يهتدي بنور الله إلى الحق والصواب وحاجته وحماية نفسه ونفعها ودفع الضرر عنها، ولولا هذا

لنور لصارت الحياة سوداء مظلمة ضارة موحشة والواقع الذي يعيشه الخلق يشهد بذلك، ولزيادة الصورة وضوحاً في ذهن المتلقي يضرب الله لنوره مثلاً ﴿ كَمِشْكُوتٍ ﴾ والمشكاة نافذة في الجدار مفتوحة من جهة ومغلقة من الجهة الخرى) وهذا أدعى إلى جعل الإنارة فيها شديدة قوية متوهجة مقارنة بنافذة مفتوحة من الجهتين يتفرق فيها النور ويتشتت، هذه النافذة فيها مصباح وهو السراج الذي يجعل الضوء النافذ من المشكاة كأنه نور الصباح ثم وضع على هذا المصباح زجاجة فزادت النور توهجاً وقوة، فصارت الزجاجية كأنها كوكب دري يلمع سنه ويسطع، ولزيادة قوة النور كان زيت هذا المصباح من زيت الشجرة التي باركها الله وهي شجرة الزيتون التي تسطع عليها الشمس طول النهار وليس فقط عند الشروق أو عند الغروب حتى لكان هذا الزيت قد اكتسب من حرارة الشمس ووهجها ما يجعله يضيء وإن تمسسه نار فكيف إذا اشتعل نوره وهو في هذا المصباح الذي في زجاجته في المشكاة فلا شك أنه في هذه الحالة يكون نوراً على نور، والله المثل الأعلى، وهذا المثل يفعل في القلوب الحية فيضيئها كما لا يفعل أي شيء آخر فتكون النتيجة هداية الله المرء لنوره، بل ينتقل من هذا النور إلى تلك القلوب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [٣٦] رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

في الآيتين السابقتين مدح وثناء وإشادة بفريق من المسلمين ارتقوا في

أعمالهم وإخلاصهم وخوفهم من الله تعالى فذكروا بهذه الصورة الراقية ليكونوا قدوة لغيرهم، لكن الآيات لم تبدأ بذكرهم أو بما يعملون، لكنها قدمت الخبر الذي يجب أن يكون تالياً ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ على المبتدأ ﴿رِجَالٌ﴾ الذي يجب أن يكون أولاً، وهذا التقديم غرضه الإشارة إلى ضرورة وجود هذه البيوت وهي المساجد، وكلمة ﴿بُيُوتٍ﴾ هي نكرة تدل على ضرورة الإكثار من هذه البيوت، ثم وصف هذه البيوت بأن الله أمر برفعها، والأمر بالرفع هنا يعني إبرازها وتعظيمها وتكبيرها ليكون وقع صورتها في القلوب عظيماً، وهذا لا يتناقض مع ضرورة أن تكون بسيطة في عظمتها وتكبيرها ثم ضرورة أن يذكر فيها اسمه بالغدو والآصال، وهذه إشارة ابتداء للأذان الذي يجب أن يرفع منها فيبلغ الآفاق ولا يتنافى هذا مع باقي أنواع الذكر من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل ووعظ وإرشاد وتعليم، ثم يأتي المبتدأ ﴿رِجَالٌ﴾ ويطنب ويسترسل في وصفهم بعد أن أطنب واسترسل في وصف الخبر ﴿فِي بُيُوتٍ﴾، وكلمة ﴿رِجَالٌ﴾ جاءت أيضاً نكرة لتدل على تعظيمهم وكثرتهم وتميزهم، فهم رجال لا تلهيهم التجارة ولا البيع ولا غير ذلك من أمور الدنيا عن ذكر الله والصلاة وأداء الزكاة وباقي الواجبات، ولا يعني هذا أنهم لا يبيعون ولا يتاجرون وإنما يعني أنهم حتى إن كانوا يعملون في التجارة والبيع والشراء وغيرها من الأعمال فإنهم يمارسون هذه الأعمال متلبسين بذكر الله ووفق ذكر الله فإذا كان وقت الذكر في المساجد في أي نوع من أنواع الذكر انطلقوا إليها متسارعين فيمكنوا فيها أطول الأوقات، يدفعهم إلى ذلك خوف من الله ومن لقائه ليكون عملهم وذكورهم لله مثبتاً لهم يوم تقلب القلوب والأبصار من فزع ذلك اليوم.

ثم تأتي بعد هذه الآيات الإشارة إلى أعمال الكافرين وأنها مهما بلغت فإنها لا قيمة لها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَفَهُ جِسَابُهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩]،
 ففي مقابل أعمال المؤمنين في الآية السابقة ونفعها يوم القيامة يأتي ذكر الكافرين وأعمالهم وعدم نفعها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾.

هكذا مباشرة تجبههم هذه الحقيقة الدامغة دون موارد أو تلون ﴿أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ والسراب هو ما يراه السائر في الظهر في مكان مستوٍ منبسط فيتراءى له ماء عن بعد فيسرع إليه فإذا أسرع الخطى إليه ووصل إلى المكان الذي كان يتراءى له ماء لم يجد شيئاً، وهكذا كلما تقدم باتجاه ذلك الماء يتباعد عنه، فالكافر يوم القيامة بحاجة إلى حسنات تنجيه كحاجة الظمان إلى الماء خاصة في الصحراء والأماكن المنبسطة المتباعدة الأطراف فيرى ما يخيل له أنه ماء، لكنه إذا ذهب إليه لم يجده شيئاً ويظل مخدوعاً بهذا السراب يلاحقه حتى يهلك، والكافر مثله يتلفت باحثاً عن حسنة تنجيه يوم القيامة فلا يجد أمامه إلا الله ليلقى جزاء كفره! فأين ذهبت حسنات أعماله تلك؟ لماذا؟ لأنه يكون قد استنفد رصيد حسناته في الدنيا، فإذا جاء يوم القيامة لم يجد إلا السراب والعذاب وما أسرع!

قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤-١٥]، وفي هذه الحالة يحتاج المرء إلى تمكين مختلف ليرى آيات الله في الكون، ولذلك كان التعبير بـ ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ إشارة إلى هذه الحالة في عدم التمكين، ولذلك لن تنفع معهم هذه المحاولة؛ لأنهم

بمكابرتهم أنكروا آيات الأرض وآيات السماء التي يرونها في الأرض ولن يتغير حالهم إذا أعرج بهم في السماء فسيظلون على الحال نفسها. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩-٧٠]، ففي قوله تعالى: ﴿حَيًّا﴾ يشير إلى حياة أخرى غير الحياة الحيوية في التنفس والحركة والأكل والشرب ودقات القلب وغير ذلك، وإنما هي حياة الوعي والتفكير والتعقل حياة خاصة أخرى يعيشها القلب والعقل والروح فتبصر ما وراء الرؤية المادية، تبصر الحق والحقيقة.

وحكى الله تعالى في سورة الكهف حكاية صاحب الجنتين فقال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢-٣٣]، فمن معاني كلمة ﴿أَضْرِبْ﴾ تأتي بمعنى: مثل، قل، حدث، احك، فلماذا استعمل القرآن هنا كلمة اضرب في الحديث عن المثل ولم يستعمل كلمة من الكلمات الأخرى؟ لأن كلمة ﴿أَضْرِبْ﴾ فيها معنى قوة المثل وقوة تأثيره ووقعه في النفوس، ثم جاء ذكر الجنتين فهما في بقعة جمعت بين خصائص المناطق الباردة التي تنبت العنب والمناطق الحارة التي تنبت النخل، ولم يكن إنبات هذين النوعين من النباتات عشوائياً وإنما كان منتظماً جمع بين فائدة الإنبات ومظهر الجمال، فعروش العنب تقع في وسط الجنتين وعلى أطرافها وحوافها نبتت أشجار النخيل.

ولأن الإنسان لا يعيش بالعنب والتمر وحدهما فهو بحاجة إلى زراعة أخرى أهمها زراعة الحبوب، ولذلك كان بين الجنتين زرع تأكل الحيوانات من نباته ويأكل الإنسان من ثماره، ويجري خلال

هاتين الجنة نهر يسقي الزرع والنخل والعنب فهما جنتان مثاليتان في موقعهما وفي تقسيمهما وفي توزيع النباتات في هذا التقسيم وجريان الماء بصورة تبعث في النفس الدهشة والسرور والأمان، وكان على صاحب الجنة أن يشكر الله على نعمته فيما رزقه، وفي هذا التوفيق العجيب للوصول إلى نتائج مثالية ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْثَرَهَا﴾ ولم تقصرا في شيء من هذه الثمار ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾، لكن صاحب الجنة كان له رأي آخر، فهاتان الجنة كانتا سبباً في كبره وظلمه وإعراضه، فها هو يدخل جنتيه وهما في أبهى صورة من نضوج الثمار، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٣٤) ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً (٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولين رُدِّتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ [الكهف: ٣٤-٣٦]، فبدلاً من أن يقابل عطاء ربه بالإقبال عليه ذهب يعرض عنه ويظلم.

ومن رحمة الله به أن أوقف له صاحبه ينصحه ويذكره بربه وعطاء ربه، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (٣٧) لكنا هو الله ربِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً ﴿٣٩﴾ فعسى ربِّي أن يوتيي خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فيصبح صعيداً زلقاً ﴿٤٠﴾ أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً ﴿٤١﴾ [الكهف: ٣٧-٤١]، وهو ما كان.

ولتفاهة هذا العرض وقلة قيمته وقلة ما يملك، عبر القرآن الكريم عن هلاك جنتيه بجملة واحدة من كلمتين شديدي الإيجاز وكأنهما

إشارة إلى ضئالة قيمة هذا الرجل وما يملك عند الله، قال تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ هذا فقط دون ذكر لأي تفاصيل عن طبيعة هذا الهلاك وصورته ونتائجها، لتفرعه هذه النتيجة المفزعة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢-٤٣].

وبعد يضرب الله مثلاً آخر للحياة الدنيا إن لم تكن لله وباللله وفي الله، قال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا آتَىٰ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٤٥]؛ لينتج عن هذا الاختلاط صور متعددة من بهجة المنظر وسروره وأثره في النفس زيادة على عطائه من الثمار والعلف، لكن السياق يعرض عن هذا كله ليذهب إلى نتيجة مثيرة فلا شيء من هذا كله يستحق الاهتمام فليس الأمر إلا نزول للمطر واختلاط بالنباتات ليصبح هشيماً تذروه الرياح ولا شيء بينهما، فليتعظ هذا الإنسان المتكبر فهذه الحياة الدنيا إلى زوال ولا قيمة لها في ميزان الحق إلا بقدر ما تذكر الإنسان بالله وتقربه إليه بالباقيات الصالحات فهي خير أمل، وإلا فهي هشيم تذروه الرياح قال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا آتَىٰ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦].

ومن عجائب النص القرآني أن فيه سياقات ليس الغرض منها إفادة المعنى المباشر للسياق وإنما معنى آخر مستفاد فوق ذلك المعنى الأول، ففي قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾، فلم يرد الله أن يخبرنا عن

تقلب الكفين، وإنما أراد التعبير عن الندم والحسرة بعد الإعراض عن الله وهلاك ثماره.

وفي سورة مريم ينادي زكريا عليه السلام ربه، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، فلم يكن مراده هنا أن يخبر الله بحاله، وإنما أراد إظهار الضعف النفسي والبدني مسترحماً لله تعالى على ما به من عجز وكبر، وفي سورة آل عمران تشكو زوجة عمران بعد أن وضعت أنثى وكانت ترجوها ذكراً ليكون أقدر على عبادة الله ونصرة الحق فقالت متحسرة، قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، ليرد الله عليها بسياق الحال لا بسياق المقال بأن هذه المولودة رغم ضعفها تستطيع أن تأتي بما لا يستطيعه الرجل فإذا بهذه المولودة المتحسر على حالها تنجب أعظم خامس إنسان على وجه الأرض بعد رسول الله محمد عليه السلام ونوح وإبراهيم وموسى عليه السلام بتلك الطريقة المعجزة التي جعلها تذكر مع ابنها أجد الدهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومثل هذا ما حكاه الله عن موسى عليه السلام عندما سأله في الوادي المقدس طوى قائلاً: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]، فالله يعلم أنها عصا وموسى يعلم أن الله يعلم أنها عصا، لكنه تطف الله مع عبده وإشعاره بقربه منه وموسى عليه السلام يستشعر هذا، ورغم ذلك يرد على سؤال ربه ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ مستشعراً هذا القرب واللفظ من ربه والأنس بهذا الموقف الذي يبعث في النفس السرور والعظمة فيذهب مسترسلاً في الجواب قائلاً: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه: ١٨]، لكنه ينتبه أنه في الحضرة الإلهية والموقف ليس موقف استرسال وإطباب في الكلام فذهب يجمع باقي الفوائد التي يجنيها من عصاه فقال: ﴿وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَىٰ﴾، تعبيراً عن

الشكر على نعمة العصا، فكيف سيكون شكره على باقي النعم التي هي أعظم من العصا وأعظمها نعمة الرسالة والنبوة.

ومثل هذا جاء في سورة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، وهو تعبير عن شدة الإنكار الذي يتلبس به الكافرون وهم يكذبون رسلهم ويعملون على دفع الآخرين لتكذيبهم أيضاً.

ومن ذلك قوله تعالى في التهديد والوعيد للكافرين: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]، فكأنه يقول للكافرين: إن ما تفعلونه وتقولونه وتنوونه مكتوب في زبور في الصحف لا يغيب منه شيء وتلقون جزاءه يوم الحساب.

ومثله قوله تعالى قبل ذلك: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، تهديد لهم بالخيبة والخسران والهزيمة بعد أن قالوا: ﴿مَحْنُ جَمِيعٍ مُتْتَصِرٍ﴾ [القمر: ٤٤]، فكأن القرآن يرد على غطرستهم بأنه مهما بلغ جمعكم فليس أمامكم إلا الهزيمة، وفي التعبير بقوله: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فيه من التشنيع والتوبيخ ما فيه في تصوير حالهم حال هزيمتهم.

ومن ذلك قول ابنتي شعيب لموسى ﷺ عندما سألهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: ٢٣]، وقبل أن يقول فلماذا خرجتما إذن قالتا ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ليعلماه سبب خروجهما مع ضعفهما، وعندما تعود إليه إحداها تدعوه قال تعالى عن ذلك: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، فالحياء ظاهر على

هيئتها ومشيتها ولكي تدفع عنه تعجبه من رجوعها بهذه الهيئة قالت ﴿إِنَّ أَبِي﴾ إذن هو أبوها من أعادها وكأنها تدرأ عن نفسها تهمة قد يظنها هذا الغريب في نفسه، وهو شعور يرافق المرأة المحصنة في كل أحوالها، فلم يكن ذلك معها وأختها في سقي غنهما قبل كل الرعاة كافياً ليعبد عنها حياءها وتحرزها ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ إذن هو أبي وهو يدعوك، وقبل أن يثور سؤال ولماذا؟ قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، وفي سياق هذه الآيات يظهر حالان عجيبان لموسى ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، الحالة الأولى حاله مع الفتاتين التي عبر عنهما القرآن بقوله ﴿أُمَّرَأَتَيْنِ﴾ فهما كبيرتان ناضجتان عاقلتان وهما ﴿تَدُودَانِ﴾ ولهما قدرة وقوة، لكنهما لا ترغبان في مزاحمة الرعاء ومدافعتهما ومعاركتهن، فتدفعه شهامته وخلقه ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ هكذا باختصار (سقى لهما) دون انتظار جزاء ولا شكورا، لكنه بعد أن تولى إلى الظل التفت إلى ربه مظهراً ضعفه وحاجته إليه كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

ومن أعجب العجب في آيات القرآن الكريم ظاهرة الحذف رغم أن حذف بعض الكلام يؤدي إلى اللبس والإبهام في فهم المتلقي لكنه يكون أحياناً في أعلى درجات البلاغة خاصة حين يأتي في القرآن الكريم، ففي دعاء موسى وزكريا عليهما السلام لربهما في الآيات السابقت ناداه ﴿رَبِّ﴾ بحذف ياء الإضافة إشارة إلى ما هما فيه من الحاجة إليه والسرعة إلى هذا الاحتياج فكان حذف ياء الإضافة (ربي) تعبيراً عن ذلك.

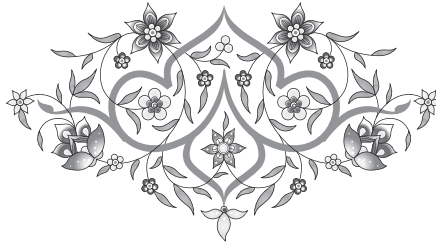
ومثل ذلك حذف النون في الفعل ﴿أَكُنْ﴾ في قوله تعالى عن مريم ﷺ

بعد أن أخبرها الملاك بحملها بعبسى، قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، حذف النون تعبيراً عن حالة الفزع مما هي مقدمة عليه خاصة حين تقابل قوم البهت من يهود.

وأعظم من هذا الحذف الحذف على مستوى النص، ففي الآيات التي تناولناها عن موسى وابنتي شعيب فيها حذف بليغ عجيب لو أعدناه إلى النص لفسد ما فيه من جمال، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [٢٣] فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴿٢٤﴾ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴿٢٥﴾ قالت إحداهما يآبت أستجره إن خير من استجرت القوي الأمين ﴿٢٦﴾ [القصص: ٢٣-٢٦]، فضبط السياق في هذه الآيات يقتضي ذكر تفاصيل كثيرة لو ذكر لفسد جمال النص وبلاغته، فعلى سبيل المثال سيكون السياق هكذا (وبعد مشقة السفر وتعبه ومخاوفه ورد ماء القوم مدين ولما ورد هذا الماء وجد عليه وحواليه جماعة من الرعاة يسقون أنعامهم ويتزاحمون على نضح الماء من بئر هناك إلى أحواض السقي خاصة الأشداء منهم، ومع هذا المنظر رأى امرأتين بعيدتين جانباً عن القوم تذودان أغنامهما خشية أن تختلط بأنعام القوم فتضيع ويتسبب ذلك في خسارتهما، كما أن مزاحمتها للرجال تذهب عنهما حياءهما وهما لا تريدان ذلك، فذهب موسى إليهما وسألهما: ما خطبكما؟ قالتا لا

نسقي حتى يكمل الرعاية سقي أنعامهم ويذهبون، وما دفعنا إلى هذا الخروج أن أبانا شيخ كبير لا يقدر على الخروج إلى الرعي وليس لنا إخوة يقومون بهذا، فما جاء في ثلاثة أسطر في المصحف صار هنا عشرة أسطر، لكن السياق القرآني ذهب يحذف كثيراً ومن ذلك تفاصيل لا حاجة للسياق أن تذكر، هذا الأمر الأول، والثاني أن النص البليغ نهاية البلاغة يجعل القارئ المتلقي مشاركاً في بناء النص، ويترك لخياله استدعاء التفاصيل من ذهنه ومن خبرته إلا حيث ما أراد النص أن يحتز خوفاً من استدعاء ما يستكرهه النص أو ما لا حاجة إليه فيه.

هذه صورة مختصرة مما أتى في النص القرآني من مظاهر الإعجاز البلاغي والجمالي واللغوي في القرآن الكريم اقتضتبه هذا الحيز المحدود من هذا الكتاب وإلا فمظاهر الجمال والبلاغة فيه لا تعد ولا تحصى.



مِنْ مَجْدِ اللَّهِ

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ
رَبِيعَ قُلُوبِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا
وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا

اللَّهُمَّ ذَكِّرْنَا مِنْهُ مَا نُسِّينَا وَعَلِّمْنَا مِنْهُ
مَا جَهِلْنَا



جمعية معاد الطيبة لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية

أصالة النشأة
وسمو الهدف 

معاد معاد معاد
معاد معاد معاد
معاد معاد معاد

حصان غير سكير

2025



1,844

مستفيدون من برامج التأهيل في العلوم الشرعية.



2,611

مستفيدون من البرامج التأهيلية في المجال القرآني.



254

طلاب في مراكز العلوم الشرعية.



10,252

طلاب في الحلقات القرآنية.



19,788

مستفيدون من الأنشطة والبرامج الموسمية.



8,049

مستفيدون من برامج التعليم الإلكتروني بمنصة معاذ.



452

طلاب المرحلة الثانوية في مركز معاذ القرآني التثقيفي.



565

طلاب في منصة معاذ للتعليم الإلكتروني.



17,462

نسخة موزعة من المصحف الشريف.



3

مساجد تم بنائها بإشراف و تنفيذ الجمعية.



7,112

نسخة موزعة من الكتب العلمية الصادرة عن الجمعية.



89,065

مستفيدون من البرامج الثقافية والدعوية.



103

حاصلون على إجازات في القراءات والروايات القرآنية.



283

خريجو الحلقات القرآنية.



247

طالباً وطالبة حاصلون على مراكز متقدمة في الثانوية العامة.



320

مشاركون في مسابقة معاذ العامة (شباب القرآن 5).

أصالة النشأة
وسمو الهدف

الحصان التراكمي..

نسخة من المصحف الشريف تم توزيعها.

115,409

خريجوا مراكز العلوم الشرعية من العلماء والدعاة.

160

طلاب منتظمون في الحلقات والمراكز القرآنية.

10,252

نسخ من الكتب العلمية تم توزيعها.

93,448

خريجوا مركز معاذ القرآني التثقيفي.

731

خريجوا الحلقات القرآنية.

5,018

مستفيدون من أنشطة وبرامج الجمعية خلال الأعوام الخمسة الأخيرة.

314,680

مسجداً تم بناؤها بإشراف وتنفيذ الجمعية.

94

حاصلون على إجازات في القراءات والروايات القرآنية.

623

مَعَانٍ
مَعَانٍ
مَعَانٍ



جَمْعِيَّةُ مَعَانِ الْعِلْمِيَّةِ
لِخِدْمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

أصالة النشأة
وسمو الهدف

مَعَانٍ
مَعَانٍ
مَعَانٍ